الغيب وعلاماته

دراسة على ضوء القرآن الكريم والسنة الشريفة

دكتور

أمين منتصر

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م

توزيع

دار الفكر العربي

٩٤ شارع عباس العقاد- مدينة نصر- القاهرة

ت: ٢٧٥٢٩٨٤ - فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥

٦ أ شارع جواد حسني - ت: ٣٩٣٠١٦٧

www.darelfikrelarabi.com

INFO@darelfikrelarabi.com

٢١٤ أمين منتصر.

أ م غ ى الغيب وعلاماته: دراسة على ضوء القرآن الكريم والسنة الشريفة/ أمين منتصر.- القاهرة: دار الفكر العربى، ٢٠٠٥م.

١٤٤ص؛ ٢٠سم.

ببليوجرافية: ص١٣٥ - ١٣٧.

تدمك:٧- ٣١١-٢٩٨-٩٧٧.

١- الغيبيات. أ- العنوان.

رقم الإيداع/ ١٩٨٦٦/ ٢٠٠٤



قال تعالى:

((وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ)) "سورة آل عمران، بالآية١٧٩"

((وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ)) "سورة الأنعام، الآية٥٩"

((وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ))

"سورة هود، بالآية١٢٣"

((هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ))

"سورة الحشر، بالآية٢٢"

((عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً، إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ))

"سورة الجن، بالآيتين ٢٦، ٢٧"



مقدمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله. وبعد ...

فسبحانك اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم. سبحانك يامن علا علمك على كل علم وعلت قدرتك على كل قدرة وسمت حكمتك على كل حكمة.

ولما كان الكون هو معجزة الله المنظورة والقرآن الكريم هو معجزته المسطورة، فقد ضمن الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم نهايات الحقائق والمعارف التي تحكم هذا الكون. ولقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بتعلم القرآن الكريم وسائر العلوم الأخرى والتدبر في ملكوته لمعرفة أمور ديننا ودنيانا، فسبحان من علمنا ما لم نعلم.

على الرغم من التقدم العلمي الهائل الذي وصل إليه الإنسان في هذا العصر وعلى الرغم من اكتشافه الكثير من المعارف والحقائق عن ملكوت الله وعن نفسه يوماً بعد يوم وباستمرار، فإنه لم يؤت من العلم إلا قليلا.

ويتبين هذا من قوله سبحانه وتعالى: ﴿*وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا*﴾[*] ولقد تجلت رحمة الله عز وجل في أن جعل هذا العلم البشري، على قلته، كافياً لمساعدة الإنسان ليعيش عيشة كريمة في حياته الدنيا وفي الآخرة، إذا هو تعلم هذا العلم وعمل به ابتغاء مرضاة الله.

ولسوف تظل المنح الإلهية تتوالى على البشر من وقت لآخر طالما أخذوا بالأسباب. ولقد أخفى الله سبحانه وتعالى على خلقه بعض الأمور الغيبية واحتفظ بها لذاته العلية. ولقد تمثلت هذه الأمور الغيبية في خمس غيبيات اشتمل

---

[*] سورة الإسراء، بالآية ٨٥.

عليها قوله تعالى: (*إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ*)(*). وواضح من الآية السابقة أن الغيبيات الخمس هي: علم الساعة، أي متى تقوم الساعة، وإنزال الغيث، وعلم ما يقر في الأرحام، والرزق المستقبلي لكل نفس، والمكان الذي توافي كل نفس فيه منيتها. وتعتبر الآية السابقة من سورة لقمان هي الآية الوحيدة في القرآن الكريم التي اشتملت على الغيبيات الخمس مجتمعة وإن ورد ذكر بعض هذه الغيبيات واحدة أو أكثر في آيات أخرى.

وحقيقة فإن إخفاء الله الحكيم هذه الغيبيات الخمس عن خلقه له حكم كبيرة بالغة. فمن ناحية يمثل إخفاء هذه الغيبيات رحمة كبيرة من الرحمن الرحيم بخلقه أجمعين، كذلك يمثل هذا الإخفاء إعجازاً كبيراً وتحدياً من الله سبحانه وتعالى للبشر أجمعين بأن يحاولوا كشف أي من هذه الغيبيات، فإن لم يفعلوا ولن يفعلوا فسيؤمن من كفر وسيثبت إيمان من آمن.

ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الغيبيات الخمس التي اختص الله بعلمها ذاته العلية، في القرآن الكريم، كما ذكرت في السنة المطهرة لخاتم الأنبياء والمرسلين محمد . وعلى الرغم من أن القرآن الكريم كتاب هداية بالدرجة الأولى، فإن ما جاء به من حقائق ومعارف على صلة وثيقة بالعلم. فطالما أن القرآن الكريم قد احتوى على نهاية الحقائق العلمية والمعارف التي تحكم الكون وتلك التي تنظم الحياة الكريمة للإنسان، فإنها والأمر كذلك لابد وأن تشكل النهايات المنشودة التي سيصل إليها العلم في أرقى مراحل نضجه.

ولقد أثبت القرآن الكريم والسنة المطهرة باستمرار تنزههما عن الخطأ، وذلك عند مقابلة ما جاء بهما من حقائق مع النظريات العلمية الصحيحة والقواعد العلمية الدقيقة التي ترقى إلى مستوى هذه الحقائق، بحيث أصبح العلم الموضوعي السليم طريقاً إلى الإيمان.

(*) **سورة لقمان، الآية ٣٤.**

ولقد شرعت في القيام بهذه الدراسة ضمن دراسة شاملة عن مفهوم علم الله بما في الأرحام وانتهيت من ذلك بحمد الله وتوفيقه في رجب عام ١٤١٢هـ الموافق يناير عام ١٩٩٢م. إلا أن ظروفا خاصة بي لم تمكنني من طباعته ونشره آنذاك واحتفظت بمخطوطه أكثر من ثلاث عشرة سنة، إلى أن سمحت الظروف بنشره أخيراً.

إلا أنه نظراً لتشعب الدراسة رأيت أن أقسم هذا المؤلف إلى ثلاثة أقسام أولها مؤلف بعنوان (**تفسير القرآن بالقرآن**) وثانيها هذا المؤلف المتعلق بالغيبيات الخمسة والمؤلف الأخير بعنوان (**العلم بما في الأرحام**) لعل ذلك يتيح فرصة أكبر لعرض كل ما توصلت إليه الدراسة من نتائج ومعلومات في كل من هذه الموضوعات الثلاثة، وأملاً أن يتيح ذلك سهولة أكثر وفهماً أوضح لكل من يتناول هذه الموضوعات بالاطلاع أو بالدراسة.

ويقدم هذا المؤلف دراسة للغيبيات الخمس وعلاماتها على ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ولقد احتوى هذا المؤلف على فصلين أفرد أولهما لدراسة علم الغيب، وذلك بتوضيح مفهوم الغيب وأنواعه وتوضيح مدى شمول وكمال علم الله العليم به. وبيان طرق إخبار الله الحكيم بعض عباده ببعض الغيب لحكم إلهية سامية ودراسة الفروق الجوهرية بين الغيب وعلاماته. وخصص الفصل الآخر لإظهار الحكم الإلهية من إخفاء الله علام الغيوب الغيبيات الخمس السابق ذكرها عن عباده.

والله نسأل التوفيق والسداد في الأمر كله. إنه سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

دكتور

أمين منتصر

القاهرة في: جماد أول عام ١٤٢٦هـ
الموافق يونيـــو عام ٢٠٠٥م.



الفصل الأول

علم الغيب



الفصل الأول

علم الغيب

قبل دراسة المفهوم الحقيقي لغيب الله بما في الأرحام نقدم في هذا الفصل دراسة لعلم الغيب. ويشتمل هذا الفصل على دراسة لمفهوم الغيب وطرق إخبار الله العليم عباده ببعض هذا الغيب وكذا الفروق الجوهرية بين الغيب وعلاماته.

مفهوم الغيب The Unseen Concept.

الغيب هو ما يغيب عن الإنسان فلا يعرفه. فإذا كان شيئاً ما بعيداً عن إدراك حواس الإنسان Man Senses فلا يمكنه رؤيته أو سماعه أو تحسسه يعتبر بالنسبة له غيباً. وعلى ذلك فكل ما نراه أو نسمع عنه أو نحسه لا يعتبر غيباً، إنما يعتبر معلوماً أو منظوراً أو مشهوداً Visible. وما لا يعلمه الإنسان أكثر بكثير مما يعلمه إذ أن ما يعلمه الإنسان قليل جداً سواء ما تعلق بنفسه أو ببني جنسه أو ببقية المخلوقات Creatures أو بالكون Universe من حوله. إذ أن العالم المنظور لا يمتد إلا بامتداد حواس الإنسان ويعرف بعالم الشهادة وهو على العكس من عالم الغيب The Circle Of The Unseen وذلك على نحو ما ورد في القرآن الكريم إذ وصف الله سبحانه وتعالى نفسه بعالم الغيب والشهادة. He Knoweth The Unseen And That Is Open أي يعلم كل ما هو في عالم الغيب وعالم الشهادة إذ قال تعالى: (*عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ*)(*) ويشمل الغيب جانباً كبيراً جداً من عالم الملك Dominion Of The Heavens And The Earth وهو العالم الذي نعيش فيه كما أنه يشمل عالم الملكوت The Power And The Laws Of The Heavens بجميع جوانبه وهو العالم الخفي عنا.

(*) سورة الرعد، الآية ٩.

ويعتبر الإيمان بالغيب من أهم ما يميز عباد الله المتقين وليس أدل على ذلك من أن ينص الله سبحانه وتعالى عليه صراحة States It Explicitly في اول سورة بالقرآن الكريم بعد سورة الفاتحة وفي بدايتها حيث قال عز وجل: (*الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ*)(*).

وبصفة عامة يمكن التمييز بين نوعين من الغيب أولهما الغيب النسبي وثانيهما الغيب المطلق. ويتمثل الغيب النسبي Relative Unseen في كل ما لا يعرفه الإنسان في الوقت الحالي لكن من الممكن أن يعرفه في وقت لاحق بالدراسة ومداومة البحث في شتى العلوم الطبيعية والاجتماعية. وهذا الغيب النسبي لم يشأ الله سبحانه وتعالى أن يحتفظ به لذاته العلية تيسيراً على عباده في حياتهم الدنيا وحثًا لهم على دوام العلم والعمل والأخذ بالأسباب.

ويتمثل الغيب المطلق Absolute Unseen فيما احتفظ الله سبحانه وتعالى بعلمه وأسراره لذاته العلية ولم يسمح للبشر أو لأي من خلقه بكشفه أو الاقتراب منه بقدراتهم الذاتية المحدودة مهما ارتقت علومهم وتقدمت. إلا أن الله الحكيم يظهر من وقت لآخر بعض علامات هذا الغيب وليس الغيب نفسه لحكم كثيرة سنتناولها بالتفصيل فيما بعد. ومن أمثلة هذا النوع من الغيب الغيبيات الخمس التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في قرآنه الكريم واختص علام الغيوب ذاته العلية بعلمها وهي: علم متى تقوم الساعة، وإنزال الغيث، وعلم ما بالأرحام، وعلم ماذا تكسب كل نفس في المستقبل، وأين تموت. وقد يظهر الله بعضا من جوانب بعض الغيب المطلق لبعض ممن يرتضى من عباده بطرقه الخاصة لحكم معينة. وسوف يتم تناول ذلك بالدراسة فيما بعد في هذا المؤلف.

وسوف يتركز موضوع هذا الكتاب على دراسة الغيب المطلق دون الحاجة إلى ذكر ذلك كلما تحدثنا عن الغيب.

(*) سورة البقرة، بالآيات من ١ إلى ٣.

لا يعلم الغيب إلا الله.

ولا يعلم الغيب إلا الله سبحانه وتعالى، وفي ذلك يقول عز وجل: (***ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله***)[١] فالله سبحانه وتعالى عالم الغيب لأنه يعرف كل شيء في عالم الملك وعالم الملكوت وعلم الله العليم الخبير أزلي أي قبل عالم الذر وفي عالم الذر وفي الحياة الدنيا وفي عالم البرزخ Partition وفي الآخرة Hereafter. ويشتمل علم الله على كل شيء في جميع العوالم، إذ أن جميع هذه العوالم من مخلوقاته سواء كان عالم الملائكة Angels أو عالم الإنس Humankind أو عالم الجن Jinns أو كانت عوالم المخلوقات الأخرى التي لا نعرفها ولا نحصيها، فهو سبحانه يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها.

وطبيعي وكما سبق التنويه عنه فإن الله سبحانه وتعالى عالم الشهادة أيضاً. إذ أنه القوي القادر يرى ويسمع ما نراه ونسمعه لأنه سبحانه الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم The Living, The Self- Subsisting, Eternal. No Slumber Can Seize Him Nor Sleep. ولعل في قصة موسى وهارون ***عليهما السلام*** وما كان بينهما وبين فرعون مثال على ذلك. إذ أرسلهما الله سبحانه وتعالى إلى فرعون ليقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى ويؤمن بالله فقالا له إنهما يخافان أن يطغى عليهما وأن يبطش بهما، فقال لهما ربهما ما جاء في القرآن الكريم في هذا الشأن إذ قال تعالى: (***قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى***)[٢] وهذا دليل على أن الله العليم يحيط علمه بكل شيء نسمعه ونراه.

أنواع الغيب:

والغيب نوعان أولهما يتعلق بالأشياء المادية الملموسة، وثانيهما يتعلق بالأشياء غير المادية الملموسة وفيما يلي بيان لكل منهما:

---

(١) سورة هود، بالآية ١٢٣.

(٢) سورة طه، الآية ٤٦.

النوع الأول ـ الغيب المتعلق بالأشياء المادية.

ويتمثل هذا النوع من الغيب في كل شيء مجهول وغير معلوم عن الأشياء المادية الملموسة Materialist مثل حدوث واقعة معينة كميلاد طفل معين أو موت انسان ما، أو كسب أو خسارة إنسان ما لمبلغ معين من المال. والأمثلة على علم الله العليم بهذا النوع من الغيب كثيرة، منها علم الساعة، وإنزال الغيث، وعلمه سبحانه وتعالى بما في الأرحام، وبما يكسبه الإنسان في المستقبل، وكذلك علمه بأي أرض يموت أي من خلقه.

النوع الثاني ـ الغيب المتعلق بالأشياء غير المادية.

ويتعلق النوع الثاني من الغيب بكل شيء مجهول وغير معلوم عن الأشياء غير المادية Unmaterialist غير الملموسة مثل ما يدور في أذهان البشر وكل مشاعرهم واتجاهاتهم النفسية، وكثير من الأسرار التي يخفونها في أعماقهم. ومن الأمثلة على علم الله علام الغيوب بهذه الأشياء غير المادية علمه سبحانه وتعالى بما يدور في نفس كل إنسان وهذا أمر عجيب يحار الإنسان في فهمه... وكم حار الفهم في فهم قدرة الله؟ !!. ورحم الله عمر الخيام وغفر له بما ذكره في رباعياته لكنه هو الله الخالق البارئ المصور لكل شيء ومن ثم امتد علمه ليستوعب ويهيمن على كل شيء. ويتضح علم الله بكل ما يكتنف النفس البشرية من قوله تعالى: (***وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ***)(*). إذ أن من خلق يعرف خلقه. ولقد أوضح الله علمه بما يدور في نفوس عباده في عدة مواضع أخرى بالقرآن الكريم. وفيها عبر الله عن النفس البشرية بعدة معان منها ذكره جل شأنه للنفس في الآيات القرآنية صراحة مثل ما ورد في الآية السابقة من سورة ق. كما ذكر الله سبحانه وتعالى النفس بمعنى الصدر، وذلك كما جاء في قوله تعالى: (***وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ***

(*) سورة ق، الآية ١٦.

وما يُعْلِنون)[١]. ومثل قوله تعالى: (*يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور*)[٢]. كذلك عبر سبحانه وتعالى عن النفس بمعنى القلب، وذلك كما جاء في قوله تعالى: (*أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم*)[٣] فسبحان من يعرف كل ما تكنه نفوسنا.

وتشتمل معرفة الله بما تكنه نفوس عباده على معرفة آمالهم وأمانيهم ومعرفة كل ما يتطرق إلى أذهانهم وما يلوح بخاطرهم، سواء أعلنوا ذلك أو أخفوه ولقد عبر الله عن ذلك في عدة آيات منها قوله تعالى: (*أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون*)[٤] وكذلك قوله تعالى: (*ما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون*)[٥] وكذلك قوله تعالى: (*ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب*)[٦].

وخلاصة القول فإن الله العليم الخبير يعلم الغيب كله على نحو دقيق سواء من هذا الغيب ما كان متعلقاً بأشياء مادية ملموسة أو كان متعلقاً بأشياء أخرى غير مادية غير ملموسة.

لا يعلم الغيب أحد من العباد في الأرض أو في السماء

ولا يطلع على الغيب أحد من العباد في الأرض أو في السماء. يدل على ذلك أن رسول الله محمداً ﷺ وهو خير البرية لا يعلم الغيب، ناهيك عن بقية مخلوقات الله في الأرض أو في السماء. يدلل على ذلك ما جاء بكتاب الله الكريم

---

(١) سورة النمل، الآية ٧٤.

(٢) سورة غافر، الآية ١٩.

(٣) سورة النساء، بالآية ٦٣.

(٤) سورة البقرة، الآية ٧٧.

(٥) سورة المائدة، بالآية ٩٩.

(٦) سورة التوبة، الآية ٧٨.

على لسان رسوله محمد ﷺ بقوله تعالى: (***قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ***)[١]. وفي قوله تعالى على لسان نبيه محمد ﷺ أيضاً: (***وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ***)[٢].

وفي السيرة النبوية الشريفة وقائع كثيرة تدل على أن الرسول الكريم ﷺ لا يعلم الغيب منها حادثة وقوعه ﷺ في الفخ الذي أعده الكفار على هيئة حفرة مغطاة في موقعة أحد Battle Of *Uhud* مما أدى إلى كسر رباعيته وشج رأسه الكريم.

كذلك فإن ما أحاط الرسول ﷺ من شكوك وما انتابه من هم وحزن إبان حادثة الإفك يؤكد على أنه ﷺ لا يعلم الغيب. إذ ظل ﷺ على حالته هذه إلى أن أنزل الله العليم إليه جبريل عليه السلام بقرآن برأ زوجه السيدة عائشة أم المؤمنين ولقد جاء ذلك في قوله تعالى: (***إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ***)[٣].

كما كان في قصة بيعه الرضوان Fealty of God's Good Pleasure

(Baia't ur Ridhuãn) دليل آخر على أن الرسول الكريم ﷺ لا يعلم الغيب، إذ ظن ﷺ أن أهل مكة قد قتلوا الصحابي الجليل عثمان بن عفان رضي الله عنه كما أشيع، ثم تبين له عدم صحة هذا الخبر فيما بعد.

ولعل خير دليل على عدم معرفته ﷺ بالغيب أكله من الشاة المسمومة التي طهتها له زينب بنت الحارث في مؤامرة يهودية لقتله لكن الله علام الغيوب أنجاه منها.

---

(١) سورة الأنعام، بالآية ٥٠.

(٢) سورة الأعراف، بالآية ١٨٨.

(٣) سورة النور، الآية ١١.

ولا يقتصر إخفاء الغيب على الإنسان وحده، بل يشمل جميع مخلوقات الله. فالملائكة لا تعلم الغيب. والأدلة على ذلك كثيرة في القرآن الكريم والسنة المطهرة ويدل على ذلك قوله تعالى: (***قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ***)[1]. أي أن الغيب محجوب كذلك على أهل السماوات من الملائكة. ومما يدل أيضاً على أن الملائكة لا يعلمون الغيب أن إسرافيل الملك المكلف بالنفخ في الصور Blowning The Trumpet إيذاناً من الله الملك ببدء الساعة لا يعرف ميقاتها، إذ أنه منذ أن أعطاه الله الصور واضعه على فمه شاخص ببصره على العرش Throne ينتظر أمر الله ذي الجلال والإكرام بالنفخ فيه[2].

والجان أيضاً مثلهم مثل بقية مخلوقات الله لا تعرف الغيب، ولعل في قصة موت نبي الله سليمان عليه السلام مثال على ذلك. إذ أخفى الله العليم الخبير موته على الجان المسخرين له في الأعمال الشاقة. فمكث نحوا من سنة متكئاً على عصاه وهو ميت. ولم تعلم الجن شيئاً عن موته، وكانت تظنه حياً، وظلت تعمل ما كلفها به من أعمال شاقة حتى أكلت الأرضة عصاته فضعفت وسقط إلى الأرض فعلمت الجن ساعتها أنه مات منذ فترة طويلة. ويتضح من ذلك أن الجن لا يعلمون الغيب كما كان يتوهم بعض الناس. ولقد وردت هذه الواقعة في القرآن الكريم في قوله تعالى: (***فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ***)[3].

كذلك لا يعرف الشياطين الغيب. فقبل بعثة محمد ﷺ كان للشياطين مقاعد

---

(١) سورة النمل، بالآية ٦٥.

(٢) محمد متولي الشعراوي، الغيب، مكتبة الشعراوي الإسلامية، أخبار اليوم، القاهرة، عام ١٩٩٠م، ص ٧٣..

(٣) سورة سبأ، الآية ١٤.

في السماء يسترقون منها السمع من الملأ الأعلى فيسمعون من الملائكة إذا تكلموا بما يوحيه الله تعالى من شرعه وقدره. ولكن بعد البعثة المحمدية حفظ الله هذا الغيب من كل شيطان مارد بأنه أتبع كل من يسترق السمع بشهاب ثاقب لا يخطئه فيحرقه، إلا من اختطف من الشياطين الكلمة فيسمعها من السماء فيلقيها إلى الذي تحته فيلقيها الآخر إلى الذي تحته، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها، بقدر الله، قبل أن يأتيه الشهاب ليحرقه فيذهب بها إلى الكاهن أو العراف بعد أن يضاعفها عشرات المرات بالكذب والبهتان وهذا واضح من قوله تعالى: (***وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ* لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ* دُحُوراً وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ* إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ***)(١) وقوله تعالى: (***وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ* إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ***)(٢)

الله يكشف بعضاً من حجب الغيب بالقرآن الكريم:

مما سبق يتبين أن حجب الغيب لا يعلمها إلا الله، وهذا ما جاء في قوله تعالى: (***وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ***)(٣). وحجب الغيب ثلاثة: غيب الماضي، وغيب الحاضر، وغيب المستقبل. ولقد كشف الله العليم بعضاً من حجب الغيب في القرآن الكريم تعزيزاً لموقف رسوله محمد ﷺ في مواجهة الكفار والمنافقين ليعلموا أن ما جاء به إن هو إلا وحي يوحى من عند ربه. وقد تنوع الإخبار بالغيب في القرآن الكريم ليشمل الإخبار عن غيب الماضي البعيد الذي لا يعرف عنه شيء بعد أن طواه النسيان منذ زمن سحيق، والإخبار عن غيب الحاضر غير المعروف ولا سبيل لرسول ﷺ إلى معرفته لاختلاف المكان، كما تضمن القرآن الكريم كذلك الإخبار عن غيب المستقبل المجهول والذي لم

---

(١) سورة الصافات، الآيات من ٧ إلى ١٠.

(٢) سورة الحجر، من الآيتان ١٧، ١٨.

(٣) سورة الأنعام، بالآية ٥٩.

تحدث وقائعه بعد.

ومن أمثلة الإخبار عن غيب الماضي ما جاء بالقرآن الكريم عن قصة نبي الله نوح عليه السلام وما كان عليه موقف قومه حيال دعوته ورفضهم التصديق بها وإصرارهم على كفرهم وعقاب الله سبحانه وتعالى لهم بعد ذلك وإغراقهم بالطوفان Plagues. وهذه القصة ما كان أحد يعلمها قبل هذا على عهد الرسول محمد ﷺ ويتضح هذا من قوله تعالى في هذا الشأن: (***تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا***)(١). ومن أمثلة إخبار القرآن الكريم عن غيب الماضي كذلك ما ورد في سورة آل عمران عن قصة مريم أم الرسول عيسى ***عليهما السلام*** إذ أخبر الله العليم رسوله ﷺ عن تفاصيل كثيرة لم تكن معروفه على عهد النبي ﷺ إذ قال تعالى: (***ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ***)(٢).

ومن أمثلة الإخبار عن غيب الحاضر ما جاء في سورة التوبة حيث أخبر الله عز وجل رسوله ﷺ بأن بعضاً ممن حوله من الأعراب منافقون ولا يعلمهم الرسول ﷺ لكن الله العليم الخبير يعلمهم وذلك في قوله تعالى: (***وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ***)(٣). ومن هذه الأمثلة كذلك ما جاء في نفس السورة والمتعلق بالمسجد الذي بناه المنافقون في المدينة ليكون منطلقاً لبث الفرقة وإيقاع الضرر بالمؤمنين وما كان الرسول الكريم ﷺ على علم بهذا المخطط فأخبره بذلك ربه العليم الخبير ليكون على حذر من هؤلاء

---

(١) سورة هود، بالآية ٤٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٤٤.

(٣) سورة التوبة، الآية ١٠١.

المنافقين ومخططاتهم فيحبطها ويسلم المؤمنون من شرها. ولقد جاء هذا الإخبار بغيب الحاضر في قوله تعالى: (*وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ*)(١).

كذلك هناك أمثلة كثيرة أخبر الله عز وجل بها عن غيب المستقبل في قرآنه الكريم. من هذه الأمثلة ما أخبر به الله سبحانه وتعالى عن الوليد ابن المغيرة المخزومي بأنه سيجعل له علامة على أنفه تلحق به الخزي والعار لقاء عناده وكفره، وذلك ما جاء في قوله تعالى: (*وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ* هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ* مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ* عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ* أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ* إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ* سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ*)(٢). وحدث في غزوة بدر الكبرى The Battle Of *Badr* The Bigest وبعد أن أحرز فيها المسلمون نصراً حاسماً على المشركين أن تفقد الرسول الكريم ﷺ قتلى المشركين فوجد من بينهم الوليد بن المغيرة وقد خطم أنفه بأحد سيوف المسلمين فأصبح أثر هذه الضربة سمة واضحة على أنفه.

ومن أمثلة إخبار الله العليم بالقرآن الكريم عن غيب المستقبل ما جاء في أول سورة الروم حيث قال تعالى: (*الم* غُلِبَتِ الرُّومُ* فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ* فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ* بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ* وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ*)(٣).

---

(١) سورة التوبة، الآية ١٠٧.

(٢) سورة القلم، الآيات من ١٠ إلى ١٦.

(٣) سورة الروم، الآيات من ١ إلى ٦.

ولهذه الآيات قصة تثير العجب العجاب(*). إذ انتصرت الإمبراطورية الفارسية Persian Empire التي كانت تقع شرقي الجزيرة العربية، على الساحل الآخر للخليج العربي على الإمبراطورية الرومانية Roman Empire التي كانت تمتد من غربي الجزيرة على ساحل البحر الأحمر إلى ما فوق البحر الأسود. ولقد أدت هزيمة الفرس للروم إلى فرح المشركين بمكة واستهزائهم بالمسلمين في بداية الدعوة الإسلامية، وذلك على أساس أن الفرس وهم المجوس عباد الشمس والنار هزموا الروم وهم مسيحيون أصحاب رسالة ويؤمنون بالله. واعتبر مشركو مكة نتيجة هذا الصراع رمزاً ودليلاً على ما يتوقع من نتائج للصراع الذي يمكن أن ينشب بين الكفار بمكة والمسلمين بها. وحزن المسلمون لذلك حزناً شديداً، وذكر ذلك أبو بكر ﵁ لرسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ عن الروم "أما إنهم سيغلبون" وذلك بعد أن نزلت عليه الآيات السابقة من سورة الروم. ففرح المؤمنون لذلك كثيراً وذكر أبو بكر ﵁ ذلك للمشركين فراهن الكفار على أن الروم لن ينتصروا وراهن أبو بكر على أنهم سينتصرون في غضون سبع سنوات، وكان الرهان حينذاك لم يحرم بعد. ومرت السنوات السبع ولم ينتصر الروم فحزن المؤمنون، خاصة أبا بكر ﵁ فعرض ذلك على الرسول الكريم ﷺ فسأل أبو بكر عن معنى كلمة بضع في لغتهم فقال أبو بكر ﵁: من معناها ما دون العشر، فطلب منه الرسول ﷺ زيادة أجل الرهان سنتين ليصير طول الأجل تسع سنوات وفي مقابل ذلك يزيد قيمة الرهان. وحدث أن انتصر الروم بالفعل في هذا الأجل الذي حدده الله العليم الخبير بسورة الروم. وتبدو عظمة هذه المعجزة الإلهية بالتنبؤ بغيب المستقبل في أن أحداً وقتها ما كان يصدق أو يتصور أن الروم سينتصرون على الفرس لسوء حالهم وضعفهم

(*) وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى .... مدخل علمي إلى الإيمان، ترجمة ظفر الإسلام خان، مراجعة وتقديم دكتور عبد الصبور شاهين، المختار الإسلامي، مكتبة القرآن، القاهرة، الطبعة السادسة، عام ١٩٧٦م. ص. ص ١١٤ ــ ١٢٠.

وانهيارهم في مواجهة الفرس، لدرجة أن كسرى ملك الفرس رفض الصلح مع الروم وطلب أن يحضر إليه هرقل ملك الروم مكبلاً بالأغلال تحت عرشه وبحيث لا يتم الصلح إلا بعد أن يهجر إلهه الصليبي ويعبد الشمس إله الفرس!!!! من يمكن وقتها أن يتصور أن هرقل قائد الروم الذي كان هذا حاله، يتبدل في بضع سنين كما قال الله عز وجل في القرآن الكريم لينتصر ويسترد صليبه المقدس من الفرس ويسترد كذلك كل أراضيه المحتلة بعد أن توغل كثيراً في الأراضي الفارسية!!!!.

وهناك إخبار آخر بالغيب بالقرآن الكريم أكثر عجباً مما سبق، إذ تضمن أخباراً بالغيب امتد ليشمل الأزمنة الثلاثة، الماضي والحاضر والمستقبل. ففي سورة يونس أخبر الله سبحانه وتعالى رسوله محمداً ﷺ عن نبأ بالغيب في الحاضر حدث في الماضي وسيكشف عنه في المستقبل، وذلك في قصة موسى رسول الله عليه السلام وفرعون مصر. ويتمثل هذا النبأ في أن الله الواسع العليم القادر قد حفظ جسد فرعون بعد غرقه في اليم ليكون آية على صدق إخبار القرآن الكريم في قصة موسى عليه السلام إذ قال عز وجل: (***فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ***)[١]، ويعتقد أن خبراء الآثار بمصر قد عثروا على جثة هذا الفرعون سليمة كما هي دون عطب أو تلف فسبحان من له العلم والقدرة!!!![٢].

كذلك ومن أمثلة هذا الغيب الذي حدث في الماضي وكشف عنه المستقبل ما جاء في سورة القمر بشأن قصة سفينة نوح عليه السلام. إذ بعد أن قص الله تعالى جانباً من هذه القصة ذكر الحكيم جل وعلا بأن هذه السفينة قد تركها آية، ثم

---

(١) سورة يونس، الآية رقم ٩٢.

(٢) دكتور محمد جمال الدين الفندي، الإسلام وقوانين الوجود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، عام ١٩٨٢م، ص ١٠٩.

تساءل فهل من مُدَّكر؟، أي هل من مُتّعظ ومُعْتَبِر؟ وذلك بقوله تعالى: (***وَلَقَد تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ***)(١).

وبالفعل وفي بداية التسعينات من القرن الماضي أعلن عن اكتشاف سفينة نوح عليه السلام رأسية على جبل أرارات بتركيا فسبحان من يعلم غيب كل الأزمان.

الله يُظهر بعض الغيب على يد من يرتضي من عباده:

وعلى الرغم من أن الله سبحانه وتعالى يعلم الغيب وحده، إلا أنه قد يطلع أحداً من عباده عليه أو على جزء منه وذلك لحكمة معينة قد تبدو للبشر في حينها وقد تبدو فيما بعد. ولقد أوضح الله سبحانه وتعالى ذلك في كتابه الكريم بقوله: (***عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا* إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ***)(٢). وتبين معنى ما جاء بهاتين الآيتين أن الله سبحانه وتعالى يحتفظ بعلم الغيب عنده ولا يظهره لأحد إلا لمن يختاره الله الخبير الحكيم من رسول. وقد يكون هذا الرسول من الملائكة كما قد يكون من البشر. يؤكد ذلك ما جاء في قوله تعالى: (***اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ***)(٣)، وكذلك قوله تعالى: (***الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا***)(٤). وعلى ذلك يمكن القول بأن رسل الله ذي الجلال والإكرام قد يكونون من الملائكة وقد يكونون من البشر. ولما كان الأمر كذلك ولما كان الله سبحانه وتعالى لا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى سبحانه وتعالى من رسول كما سبق بيانه بالقرآن الكريم، فإنه يمكن القول بأن الله عالم الغيب يمكن أن يُطلِعَ على بعض غيبه بعضاً من الملائكة وبعضاً من البشر.

---

(١) سورة القمر، الآية رقم ١٥.

(٢) سورة الجن، بالآيتين ٢٦، ٢٧.

(٣) سورة الحج، الآية ٧٥.

(٤) سورة فاطر، بالآية ١.

وفيما يلي بعض الأمثلة لإطلاع الله عز وجل بعضاً من عباده على بعض الغيب، على أن نوضح جانباً من حكمة الله سبحانه وتعالى في ذلك بالنسبة لكل مثال.

فقد أطلع الله سبحانه وتعالى الملائكة على خبر خلق البشر قبل أن يخلقهم. إذ قال تعالى في كتابة الكريم: (***وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ***)(١). وواضح من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى أطلع الملائكة على بعضٍ من علم الغيب عنده والمتمثل في نيته في خلق البشر قبل أن يخلقهم. كذلك واضح من رد فعل الملائكة أنهم عرفوا بعضاً من صفات البشر وما كان لهم ذلك إلا بإعلام الله العلام لهم سواء كان هذا الإعلام بالوحي أو بالإلهام أو بتوفيقهم في الأخذ بالأسباب. ونظراً لمعرفة الملائكة ببعض صفات البشر فقد سألوا سؤال استعلام واستكشاف لحكمة الله سبحانه وتعالى من خلقه لهؤلاء البشر وإسكانهم الأرض، مع أن منهم من يفسد في الأرض ويسفك الدماء. وربما تتمثل حكمة الله سبحانه وتعالى في إخبار الملائكة بنبأ عزمه عز وجل على خلق آدم وذريته في أن الله الحكيم أراد أن يوضح للملائكة منزلة آدم وذريته من ناحية وليختبر مدى استعدادهم لتنفيذ أوامر الله سبحانه وتعالى، بصرف النظر عن وضوح حكمة هذه الأوامر بالنسبة لهم أم لا، من ناحية أخرى.

وبالنسبة لإخبار الله سبحانه وتعالى بعضاً ممن يرتضى من البشر بالغيب إطلاعه جل وعلا خليله إبراهيم عليه السلام على ملكوت السماوات والأرض وهو ما أخفاه عز وجل عن بقية عباده من البشر. وذلك رغبة من لدنه سبحانه أن يكون إبراهيم عليه السلام مؤمناً موقنا. ويتضح ذلك من قوله تعالى: (***وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ***)(٢).

---

(١) سورة البقرة، بالآية ٣٠.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٧٥.

ولقد أطلع الله عز وجل نبيه يوسف عليه السلام على بعض الغيب، ودليل ذلك ما أنبأ به عليه السلام صاحبيه في السجن من أنه سوف يخبرهما بكل ما يأتيهما من طعام يرزقانه قبل أن يأتيهما ذلك، على الرغم من وجوده معهما بداخل السجن. ولقد ورد ذلك في قوله تعالى: (***قَالَ لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي***)[1] ويوضح هذا الجزء من الآية الكريمة أن ما يعلمه يوسف عليه السلام من إخبار المستقبل إنما هو مما علمه ربه له من الغيب.

كذلك فقد أخبر يوسف عليه السلام صاحبيه في السجن بتأويل رؤياهما عندما طلبا منه ذلك بعد أن توسما فيه الصلاح والتقوى إذ قالا له على نحو ما ورد في قوله تعالى: (***قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ***)[2] فقال لهما يوسف عليه السلام أن أحدكما يفرج عنه من السجن ويسقي الملك خمراً، والآخر يصلب ويترك في العراء فتأكل الطير من رأسه، وهذا ما ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: (***يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ***)[3]. وهو ما حدث بالفعل.

كذلك مما يدل على إطلاع الله العليم الحكيم يوسف الصديق على بعض الغيب ما جاء في قصته مع ملك مصر والمتعلق بتأويل الأحلام. إذ سأل ملك مصر يوسف عليه السلام أن يفسر له رؤياه التي رأى فيها سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات، وهذا ما رواه القرآن الكريم في

(١) سورة يوسف، بالآية ٣٧.
(٢) سورة يوسف، الآية ٣٦.
(٣) سورة يوسف، الآية ٤١.

قوله تعالى: (*يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ*)(١). فقال الصديق عليه السلام أنه سيحدث أن يزرع الناس سبع سنوات متواليات يأتيهم فيها المطر ويعم فيها الخصب والخير، وأن عليهم في هذه السنوات أن يقتصدوا في طعامهم، وأن يتركوا ما تبقى من المحاصيل في سنابلها لتخزينها للمستقبل لينتفعوا بها في سبع سنوات أخرى تالية سيعم فيها الجدب Barrenness، وهو ما حدث بالفعل.

ولقد ورد تفسير هذه الرؤيا في القرآن الكريم وبنفس السورة في قوله تعالى: (*قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ* ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ*)(٢).

وتتمثل حكمة الله سبحانه وتعالى في إخبار نبيه يوسف عليه السلام بهذه الوقائع الغيبية في طمأنته أنه في معية الله فلا يخاف ولا يحزن لما أصابه من فقده من والده وضياعه وما تبع ذلك من اتهامه ظلماً وحبسه. كما تتمثل هذه الحكمة في إلقاء محبته عز وجل في قلوب كل من يقابله ويتعامل معه من الناس فيتوسموا فيه خيراً وليكون هذا الإخبار ببعض الغيب سبباً في خروجه من السجن وَرَدِّ اعتباره إليه بعد ذلك وسبباً في تمكينه وتأمينه وبداية لتبوئه المكانة اللائقة التي اختاره الله المقتدر لها.

كذلك ومن أمثلة الإنباء بالغيب ما أوحى به الله سبحانه وتعالى إلى أم موسى عليه السلام حين خافت على وليدها من أن يذبحه فرعون مصر. إذ كان يذبح من يولد من أبناء بني إسرائيل من الذكور عاماً ويتركهم عاماً فأوحى الله

---

(١) سورة يوسف، الآية ٤٦.

(٢) سورة يوسف، الآيتان ٤٧، ٤٨.

القوى القادر إلى أم موسى عليه السلام أن ترضعه وأن تلقيه في اليم وألا تخاف عليه ولا تحزن لأنه سبحانه وتعالى القاهر فوق عباده سيرده إليها سالماً، بل وسيجعله نبياً. وهذا ما حدث بالفعل، إذ أرضعته أمه عليه السلام ووضعته في التابوت The Ark Of The Covenant وسيرته في البحر فسار التابوت إلى قصر فرعون فالتقطته الجواري وحملنهُ إلى امرأة فرعون التي أحبته وقامت بإيوائه، ثم كان ما كان بعد ذلك إلى أن كبر وبعثه الله عز وجل نبياً ورسولاً. ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى: (***وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ***)(*).

ومن ناحية تبدو حكمة الله سبحانه وتعالى في إخبار أم موسى عليه السلام بهذا الغيب في طمأنتها على وليدها والتي كاد قلبها ينفطر خوفاً عليه من الذبح كما كان يفعل فرعون مع أبناء بني إسرائيل، لولا أن ربط الله على قلبها Had God Not Strengthened Her Heart With Faith. كما تبدو حكمة الله الحكيم كذلك من إخبارها بهذا الغيب في الحفاظ على نبي الله مما كان ينتظره من مكروه تمهيداً لبعثه عليه السلام نبياً ورسولاً.

ولعل ما كان في قصة موسى والخضر ***عليهما السلام*** من قتل الغلام دليل آخر على إخبار الله سبحانه وتعالى بعضاً من عباده بالغيب. ومن ذلك أنه بانطلاق موسى والخضر عليه السلام معاً في جولتهما صادفا غلاماً فقتله الخضر عليه السلام. فاستنكر موسى عليه السلام على الخضر عليه السلام هذه الفعلة وقال له لقد قتلت نفساً زكية بغير نفس أي دون ذنب. وفيما بعد، وعندما فسر له الخضر عليه السلام سبب قتله الغلام قال إن أبويه كانا مؤمنين وخشينا أن يرهقهما ابنهما هذا عصياناً وطغياناً وكفراً وذلك على نحو ما جاء بالقرآن الكريم إذ قال تعالى: (***وَأَمَّا الْغُلَامُ***

(*) سورة القصص، الآية ٧.

فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا)(١). وبالطبع لم يعرف الخضر عليه السلام ذلك إلا بإعلام من الله علام الغيوب له. يدل على ذلك ما جاء بالقرآن الكريم على لسان الخضر عليه السلام، إذ قال: (***وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي***)(٢). أي أن الخضر عليه السلام يقصد أن ما أخبر به من أنباء بالغيب إنما بإعلام من الله العليم وليس بإعلام ذاتي من نفسه إذ أن علم الغيب لا يعلمه إلا الله العليم الخبير.

وتتمثل حكمة الله سبحانه وتعالى في إخبار الخضر عليه السلام بهذا الغيب في إرادته عز وجل في إبلاغ رسالة عملية إلى عبده ونبيه موسى عليه السلام فحواها أنه فوق كل ذي علم عليم، إذ أن من عباد الله من عنده من العلم ما لم يحط به موسى عليه السلام.

ومن أمثلة الإخبار بالغيب أيضاً إخبار الله سبحانه وتعالى عبده ونبيه عيسى عليه السلام ببعض أحوال بني إسرائيل مثل ما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم ليكون هذا بالإضافة إلى غيره من المعجزات دليلاً على صدق نبوته. ولقد ورد هذا الأمر بهذا المعنى بالقرآن الكريم على لسان عيسى عليه السلام في قوله تعالى: (***وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ***)(٣).

وأخيراً فلقد أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه ورسوله محمداً ﷺ كثيراً من أنباء الغيب ورد ذكر بعضها عند الحديث عن كشف الله عز وجل بعضاً من حجب الغيب في القرآن الكريم تعزيزاً لموقف رسوله محمد ﷺ في مواجهة الكفار والمنافقين. وما ذكر في هذا الحديث قليل من كثير. إلا أنه تجدر الإشارة في هذا المقام إلى أن ما أكرم الله سبحانه وتعالى به نبيه محمداً ﷺ من إعلامه

---

(١) سورة الكهف، بالآية ٨٠.
(٢) سورة الكهف، بالآية ٨٢.
(٣) سورة آل عمران، بالآية ٤٩.

ببعض الغيب ربما يفوق بكثير ما أعلمه عز وجل لبقية أنبيائه ورسله، ويكفـي للتدليل على ذلك ما كان في معجزة الإسراء والمعراج من تجليات ربانية جليلـة على حبيبه المصطفى ﷺ وكشفه عز وجل له ﷺ كثيراً من حجب الغيب... وهذه الحجب التي لم تكن حجباً لغيب الماضي ولا حجباً لغيب الحاضـر ولا حجبـا لغيب المستقبل فحسب بل كان كثير منها كشفاً لحجب الآخـرة!!!! The Veils Of Hereafter إذ رأى الرسول الكريم ﷺ بعيني رأسه الشريفة وسمع بأذنيـه الطاهرتين كثيراً من أحوال أهل السماوات والأرض، وكثيراً من أحـوال أهـل الجنة وكثيراً من أحوال أهل النار. لقد رأى الرسول الكريم محمد ﷺ فـي ليلـة الإسراء العظيمة كثيراً من آيات ربه الكبرى. ولقد ورد في سورة النجم بعضـاً من تفاصيل هذه المعجزة الإلهية وما كشف الله عز وجل فيها من الغيب إكرامـا وحباً لنبيه محمد ﷺ. ومن ذلك ما قاله الله القوي العزيز في هذه السورة إذ قـال تعالى: (*لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى*)(١).

طرق إخبار الله عباده ببعض الغيب:

ولعل السؤال الذي يطرح نفسه الآن هو كيف يحيط الله العليم الخبير بعضاً من عباده ببعض الغيب؟ ولعل الإجابة على هذا السؤال تأتي واضحة من قولـه تعالى: (***وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَـابٍ أَوْ يُرْسِـلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَـا يَشَـاءُ إِنَّـهُ عَلِـيٌّ حَكِـيمٌ***)(٢). ويتبـين مـن هـذه الآية الكريمة أن إخبار الله بعضاً من عباده ببعض الغيب له طرق ثـلاث لكـل طريقة منها مقام معين بالقرب من جناب الله عز وجل. كذلك قد يخبر الله عباده ببعض الغيب بأمرهم بالأخذ بالأسباب.

---

(١) سورة النجم، الآية ١٨.

(٢) سورة الشورى، الآية ٥١.

أولاً ــ الإخبار بالوحي Telling By Revelation.

وأول هذه الطرق وأقلها تشرفا بالقرب من جناب الله هي أن يتصل الله بأي من عباده وحياً. وذلك بأن يلقي الله القادر في روع هذا العبد شيئا ما لا يتمارى ولا يشك في أنه من الله العلي القدير. ومثال ذلك ما ورد في قصة موسى عليه السلام عندما أوحى الله العليم الحافظ إلى أمه بأن ترضعه وأن تلقيه في اليم Cast Him Into The River على نحو ما جاء بالقرآن الكريم في قوله تعالى: (***وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ***)(١). ومن أمثلة ذلك أيضا قوله ﷺ في صحيح ابن حبان: "**إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب**"(٢). وإخبار الله عباده عن الغيب بالوحي هو ما نسميه الإلهام Inspiration وهو أن يلهم الله شخصاً ما معرفة شيء ما كان خافياً عليه وانقطعت به الأسباب عن معرفته بقدرته الذاتية إلى أن ألهمه الله معرفته.

ثانياً ــ الإخبار بإرسال رسول Telling by Sending a Messenger.

وثاني طرق إحاطة الله بعضاً من عباده ببعض الغيب هي أن يرسل إليه رسولاً فيوحي بإذن ربه إلى هذا العبد ما يشاء الله سبحانه وتعالى أن يوحي إليه. ولقد أرسل الله عز وجل إلى أنبيائه ورسله رسلاً من الملائكة منهم جبريل عليه السلام إذ أرسله الله تعالى إلى إبراهيم عليه السلام وغيره من الأنبياء والرسل. كما كان جبريل عليه السلام هو رسول الله إلى عبده ورسوله محمد ﷺ منذ بداية البعثة المحمدية وحتى نهايتها. وتعتبر طريقة إنباء الله بعضاً من عباده بالغيب بإرسال أحد

---

(١) سورة القصص، الآية ٧.

(٢) إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، الجزء الرابع، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص١٢٢.

الملائكة رسولاً إليهم أكثر تشرفاً بالقرب من جناب الله من الطريقة السابقة المتعلقة باتصال الله عز وجل بأحد عباده وحياً عن طريق الإلهام.

ثالثاً ـ الإخبار من وراء حجاب Telling from behind Veil.

وثالث طرق إحاطة الله سبحانه وتعالى بعضاً من عباده ببعض الغيب وأكثرها تشرفاً بالقرب من جناب الله عز وجل هي الإخبار من وراء حجاب. وتتمثل هذه الطريقة في إخبار الله أحداً من عباده ببعض الغيب بأن يكلمه سبحانه وتعالى من وراء حجاب دون أن يراه السامع المتلقي لإخبار الغيب. ومثال ذلك ما كان بين الله سبحانه وتعالى وبين نبيه موسى عليه السلام في الوادي المقدس طوى بجانب الطور الأيمن بسيناء إذ كلم الله موسى عليه السلام دون أن يراه، ولما طلب أن يرى ربه لم يُستجب إلى طلبه على نحو ما ورد في القرآن الكريم إذ قال تعالى: (***وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ***)(*).

كذلك ومن أمثلة إخبار الله بعضاً من عباده ببعض الغيب من وراء حجاب ما كان ليلة الإسراء والمعراج. إذ أسرى الله القوي القادر بعبده ورسوله محمد ﷺ من المسجد الحرام The Sacred Mosque إلى المسجد الأقصى The Farthest Mosque ثم عرج به إلى السماوات السبع. ولقد وصل رسول الله ﷺ إلى سدرة المنتهى Near The Lote-Tree Beyond Which None May Pass. ودنا من رب العزة، فأوحى الله إليه فيما يوحي بفرض الصلاة.

ويلاحظ من عرض طرق إنباء الله سبحانه وتعالى بعضاً من عباده ببعض الغيب السابقة أن رسول الله ﷺ قد تشرف بالقرب من جناب الله عز وجل بطرق

(*) سورة الأعراف، الآية ١٤٣.

الإخبار الثلاث السابقة.

رابعاً ـ الإخبار بالأمر بالأخذ بالأسباب. Telling by taking with reasons.

وقد يكشف الله العليم بعضاً من الغيب لبعض عباده بأن يأمرهم بالأخذ بالأسباب. وقد يكون لهذا الكشف حكمة معينة يستهدفها الله سبحانه وتعالى. كما قد يستخدم الله هذا الكشف لبيان حكمة أخرى. ويأمر الله عباده بالأخذ بالأسباب إما عن طريق الوحي والإلهام أو عن طريق رسول. وفي حالة أمر الله سبحانه وتعالى بعض عباده بالأخذ بالأسباب لكشف الغيب يكون إعلام هؤلاء العباد بالغيب مرتبطاً بالأخذ بهذه الأسباب، فإذا ما أخذوا بهذه الأسباب وفّقهم الله إلى معرفة المعلومة الغيبية التي كانوا ينشدونها، وإذا لم يأخذوا بها لا يحصلون على شيء.

ومثال إبلاغ الله سبحانه وتعالى عباده بالغيب بأمرهم بالأخذ بالأسباب ما كان من أمر بني إسرائيل عندما اختلفوا حول أيهم قتل النفس التي قتلت ودبت بينهم الخصومة وأخذوا يتبادلون الاتهام، فقال بعضهم أنتم قتلتم الرجل وقال البعض الآخر بل أنتم قتلتموه. فلما طلبوا من موسى عليه السلام أن يدلهم على القاتل ولم يكن رسول الله عليه السلام يعلم ذلك، إذ كان هذا بالنسبة له نوعاً من الغيب، فأوحى الله العليم إليه بأن يخبر بني إسرائيل بأن يأخذوا بالأسباب وسيكشف الله لهم هذا الغيب. ولقد تمثلت هذه الأسباب بأن يشتروا بقرة وأن يذبحوها ويضربوا القتيل ببعضها. وذلك وفق ما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: (***وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ***)(*). وواضح من هذه الآية الكريمة أن بني إسرائيل لم يصدقوا في بادئ الأمر بأن ذبحهم البقرة يمكن أن يكشف لهم هذا الغيب، فكان أن استهجنوا هذا الطلب وسألوا نبيهم إن كان يستهزئ بهم ظناً منهم ذلك. ولقد

(*) سورة البقرة، الآية ٦٧.

أكد لهم موسى (عليه السلام) هذا الطلب وأفهمهم بأنه لا يستهزئ بأحد لأن هـذا الخلـق السيئ ليس من أخلاقه وطباعه وإن ما طلبه منهم إن هو إلا أمر مـن عنـد الله لكي يكشف لهم ما كان أحدهم يكتمه من الغيب والمتعلق باسم قاتل النفس. ولقـد جاء ذلك في قوله تعالى: (*وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ* فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ*)(*). ونظراً لحرص بني إسرائيل على كشف ما خفي عنهم مـن الغيـب شرعوا في الأخذ بالأسباب.

شرع بنو إسرائيل في تنفيذ ما أمروا به فبحثوا عن البقرة التي وصفت لهم أربعين سنة، واشتروها بملء مسكها دنانير وذبحوها وضربوا القتيـل بـبعض أجزائها فرد الله المحي المميت روح القتيل إلى جسده فقام تشخب أوداجـه دمـا فقالوا له: من قتلك؟ قال قتلني ابن أخي. ولقد أجرى الله سبحانه وتعـالى هـذه المعجزة المتمثلة في إحياء هذا القتيل ليبرهن لبني إسرائيل على قدرتـه علـى إحياء الموتى، وبهذا تكون هذه المعجزة كما قال ابن كثير في تفسيره حجة لهـم على المعاد، وفاصلاً ما كان بينهم من الخصومة والعناد.

وعلى الرغم من أن الحكمـة الظـاهرة لله الحكـيم مـن إجـراء هـذه المعجزة تتعلق بإظهار قدرته عز وجل على إحياء الموتى كما سبق بيانـه وإن الحكمة الثانية من إجراء هذه المعجزة هو تكريم موسى (عليه السلام) إلا أن هذه المعجزة تشتمل على حكمة ثالثة تتعلق بإمكانية إخبار الله بعض عباده ببعض الغيـب إذا هم أطاعوا وأخذوا بما أمر به من الأسباب. فعلى الرغم من أن الأسـباب التـي أمر الله سبحانه وتعالى بها بني إسرائيل في هذه الواقعة هي في جوهرها أسباب ظاهرية، وذلك على أساس أن الأمر كله يرتبط بقدرة الله القـدير علـى إحيـاء الموتى، إلا أن هذه القاعدة تظل قائمة. صحيح أنه بدون قدرة الله عز وجل على

(*) سورة البقرة، الآيتان ٧٢، ٧٣.

إحياء الموتى ما أحُيي هذا القتيل وبالتالي ما أخبر بشيء، مهما ضرب جسده بأي شيء سواء ببعض من هذه البقرة أو أي شيء آخر غيرها، إلا أن هذه الواقعة تؤكد على إمكانية إخبار الله الخبير بعض عباده ببعض الغيب إذا هم أخذوا بما أمروا به من الأسباب بصرف النظر عن طبيعة هذه الأسباب سواء كانت أسباباً ظاهرية أم أسباباً جوهرية تلعب دوراً ملموساً في الكشف عن الغيب بأمر الله. وفيما يلي بيان صحة هذا الاستدلال من خلال دراسة النقاط التالية:

أ- أن قدرة الله سبحانه وتعالى هي أساس إنجاز أي شيء في هذا الوجود. وأنه لا يمكن لمخلوق كائن من كان أن يقوم بعمل شيء بدون مشيئة الله والاستعانة بقدرته. وعلى الرغم من أن قدرة الله سبحانه وتعالى هي المهيمنة على كل عمل وفي جميع الأحوال، وأن الأسباب في هذه المعجزة ظاهرية، فلا يمكن القول بأنه لا يعتد بها على أساس أن الفيصل في هذه الحالة هو قدرة الله على إحياء الموتى وأن هذه الأسباب لم تلعب أي دور. صحيح أن قدرة الله هي الفيصل في جميع الأحوال ومع ذلك فإن الأخذ بالأسباب أمر ضروري في جميع هذه الأحوال أيضاً. وفي هذه الواقعة بالذات والمتعلقة بإحياء الله الشخص المقتول ليخبر قومه بالغيب المتعلق باسم قاتله، كان لابد وأن يكون السبب الذي يأمر به الله سبحانه وتعالى ليتحقق الإخبار بالغيب سبباً ظاهرياً. إذ لا يمكن أن يكون للبشر دور جوهري في إحياء الموتى!!. ومن ثم فلا يقدح في الاستدلال المتعلق بإمكانية إخبار الله عباده بالغيب بأمرهم بالأخذ بالأسباب أن يكون هذا السبب ظاهرياً، إذ يظل هذا السبب ضرورياً لإخبار الله عباده بهذا الغيب بصرف النظر عن طبيعته.

ب- أن منهج الله سبحانه وتعالى في هداية عباده إلى الطريق القويم قائم على

مبدأ حث العباد على السعي والاجتهاد بالأخذ بالأسباب، فعلى الرغم من أن الله الرزاق يبسط الرزق لعباده وقدَّره قبل أن يخلقوا، إلا إنه عز وجل يربط هذا الرزق بالسعي والأخذ بالأسباب بصرف النظر عن كون هذه الأسباب ظاهرية أو جوهرية. فكثيراً ما يرزق الله إنساناً عن طريق ما دون أن يبذل جهداً كبيراً وذلك لمجرد السعي والأخذ بالأسباب. ولعل في قصة العذراء مريم ***عليها السلام*** مثالاً واضحاً على ذلك. إذ على الرغم من حالتها النفسية المجهدة وحالتها الجسدية المتعبة عند وضع وليدها عيسى عليه السلام وهو ما عبر عنه سبحانه وتعالى بقوله: (***فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا***)(١)، لم يشأ الله الرحمن الرحيم أن يرزقها بالطعام دون أن تأخذ بالأسباب. فأوحى إليها أن تهز بجذع النخلة ليأتيها رزقها ويتضح هذا من قوله تعالى: (***وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا***)(٢). وواضح أن هذا السبب في الرزق المتعلق بهز جذع النخلة وإن بدا سبباً جوهرياً يتعلق بسقوط الرطب إليها، إلا أنه بالنظر إلى ضعفها ووهنها النفسي والجسدي في هذه الحالة، وبالنظر إلى قوة جذع النخلة المثمرة يتبين أن هذا السبب الذي أمرها الله سبحانه وتعالى به سبب ظاهري أكثر منه جوهرياً. ومن ثم يمكن القول بأن كون السبب ظاهرياً لا يقدح في مبدأ الأخذ بالأسباب. فمادام المخلوق قد أطاع خالقه وأخذ بما أمره به من أسباب يتحقق له هدفه بمشيئة الله.

ج- يتبين من دراسة النقطتين السابقتين صحة مبدأ إمكانية إخبار الله سبحانه وتعالى بعض عباده ببعض الغيب بأمرهم بالأخذ بالأسباب حتى لو كانت هذه الأسباب ظاهرية. وواضح أن صحة هذا المبدأ تتأكد بدرجة أكثر

---

(١) سورة مريم الآية ٢٣.

(٢) سورة مريم الآية ٢٥.

وضوحاً إذا كانت الأسباب التي أمر الله العليم الخبير عباده أن يأخذوا بها جوهرية.

سمات كشف الله الغيب لمن يرتضي من رسول:

سبق أن أوضحنا في هذا الفصل أن الله علام الغيوب يمكن أن يُطلع بعضاً من عباده ممن يرتضيهم، سواء كانوا ملائكة أو بشراً، على بعض غيبه. وبالنسبة للبشر فلا يطلع الله أحداً منهم على غيبه إلا إذا كان عبداً صالحاً ارتضاه الله واصطفاه لذلك حبّاً وتكريماً له. ويتسم كشف الله لبعض الغيب لبعض عباده الصالحين بسمات معينة نوضحها فيما يلي:

١- قد يكشف الله سبحانه وتعالى جانباً من غيبه لبعض عباده الصالحين دون مشقة أو عناء كرامة لهم لصلاحهم وحسن إسلامهم. وهذا ما حدث مع عمر بن الخطاب ﷺ عندما كشف الله عز وجل له أحوال جيش المسلمين بقيادة سارية أثناء المعركة وهم يقاتلون بالجبال.

٢- غالباً ما يكون كشف الله لعباده الصالحين جانباً من الغيب فجائياً. فيحدث هذا الكشف في أي زمان وفي أي مكان. إذ يحدث في الموعد الذي يرى الله علام الغيوب أنه الموعد الملائم لذلك. ولعل في الواقعة السابق ذكرها بالنسبة لكشف الله أحوال جيش المسلمين لعمر بن الخطاب ﷺ مثالاً يوضح ذلك أيضاً. إذ كشف الله هذا الغيب لهذا الخليفة الراشد وهو قائم يخطب بالناس بالمسجد بالمدينة المنورة وعلى غير توقع منه.

٣- غالباً ما يكون جانب الغيب الذي يكشفه الله لعباده الصالحين دقيقاً وكبيراً، وربما يكون تفصيلياً كما حدث لعمر بن الخطاب ﷺ نفسه عندما علم في منامه بأن سيولد في المستقبل حفيد له يكون خليفة زاهداً ورعاً هو الخليفة عمر بن العزيز ﷺ وذلك قبل ميلاده بحوالي أربعين عاماً!!. إذ أخبره الله العليم باسمه ونسبه وبعض ملامحه وبسيرته في الحياة الدنيا

أيضاً(*)!!. ومن أمثلة ذلك أيضاً ما حدث مع أم موسى عليه السلام، إذ أخبرها الله سبحانه وتعالى بما يتعين عليها أن تفعله مع ابنها لتحميه من بطش فرعون. كما أخبرها عز وجل من أن ابنها سَيَسلم من مكائد فرعون وسيعود إليها وسيصير نبيّاً!!.

٤- إخبار الله عباده الصالحين ببعض الغيب لا يكون إلا بالغيب ذي السمة المؤقتة الذي لا يأخذ طابع الدوام أو الاستمرار، بحيث يتعلق بواقعة معينة أو بموقف معين بحيث يحدث أثره أو يحقق هدفه وينتهي، وذلك مثل الحال في الأمثلة السابق ذكرها في السمات الثلاث السابقة.

٥- غالباً ما يكون كشف الله لبعض جوانب الغيب لأحد الصالحين من عباده متعلقاً بأمر خاص أو بموقف محدد يهم فرداً معيناً أو مجموعة من الناس بحيث لا يمكن تعميم نتائج هذا الكشف على سائر البشر. إذ أن الأمر لا يعدو أن يكون كشفاً محدوداً لأمر محدود متعلق بشخص أو بجمع محدود من الناس.

وإذا كان الله سبحانه وتعالى يطلع بعضاً من عباده على بعض الغيب، فهل يعني هذا أن علم البشر بالغيب الذي أطلعهم عليه الله سبحانه وتعالى يرقى إلى علم الله تبارك وتعالى بهذا الغيب؟ أم أن هناك فروقاً جوهرية بين علم الله وعلم البشر فيما يتعلق بهذا الغيب. وفيما يلي سنحاول الإجابة على هذا السؤال، بالمقارنة بين علم الله سبحانه وتعالى وعلم عباده من البشر بما أطلعهم عليه من الغيب. على أن نوضح ذلك بأمثلة كلما كان ذلك ضرورياً.

(*) خالد محمد خالد، خلفاء الرسول، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، عام ١٤٠١هـ: ١٩٨١م، ص ٤٩٧.

الفروق الجوهرية بين علم الله بالغيب وإخبار البشر به:

حقيقة الأمر هناك فروق جوهرية بين علم الله سبحانه وتعالى بالغيب وإخبار البشر به. وهذه الفروق الجوهرية في قدرها ما هي إلا انعكاس طبيعي للفروق الجوهرية اللانهائية بين الخالق ذي الجلال والإكرام والمخلوق الذي لن يخرق الأرض ولن يبلغ الجبال طولاً!! فلا وجه للمقارنة بين صفات الخالق وصفات الخلق. فالفرق بين علم الله تبارك وتعالى بالغيب وعلم الإنسان الذي خلق ضعيفاً هو الفرق بين العلم الكامل والعلم الضئيل الذي يكاد يتدنى إلى مستوى الجهل. ولإيضاح الفارق بين علم الله سبحانه وتعالى بالغيب وعلم الخلق به نسوق المثال التالي.

فلو تصورنا أن إنساناً يمسك بقلم ويكتب به مؤلفاً في علم الأجنة على أوراق بيضاء. وأثناء ذلك سارت على أحد هذه الأوراق حشرة صغيرة جداً ولتكن نملة مثلاً. ولو تصورنا أنه أمكن مخاطبة هذه النملة وسُئلت ماذا ترين على الأرض التي تسيرين عليها؟ وبالطبع يقصد بالأرض ورقة الكتابة، فمن المتصور أن هذه النملة لو وقفت على نقطة أحد الحروف، ستجيب بقولها: أرى نقطة سوداء على الأرض إذ أنها لا تستطيع أن ترى أبعد من ذلك ولا أعلى من ذلك!!.

ولو تصورنا كذلك أن حشرة أكبر من النملة، ولتكن صرصاراً مثلاً، سارت على هذه الورقة وسئلت نفس السؤال السابق فمن المتصور أن هذا الصرصار سيجيب بقوله: إنني أرى خطوطاً سوداء ... إذ أنه يستطيع أن يرى أبعد مما تستطيع أن تراه النملة. ولو استبدل هذا الصرصار بكائن آخر أكبر منه وأقوى وليكن فأراً مثلاً وسُئِلَ نفس السؤال... ماذا ترى؟ فربما أجاب بقوله إنني أرى يداً تمسك بشيء تحدث به خطوطاً مختلفة على ورقة بيضاء.

ولو تدرجنا بعد ذلك بحيث استبدل بالفأر كائن آخر أكثر قوة ورقيّاً، وليكن

شمبانزي مثلاً، وتصورنا أننا سألناه نفس السؤال... ماذا ترى؟... فمن المتخيل أن هذا الحيوان الراقي ربما يجيب بأنه يرى إنساناً يمسك بشيء يحدث به خطوطا. وأخيراً لو افترضنا أنه قد استبدل بهذا الحيوان الراقي بكائن آخر أكثر رقياً وليكن إنساناً أمياً مثلاً وسألناه نفس السؤال فمن المتوقع أن يجيب بقوله إنني أرى إنساناً يمسك في يده قلماً يكتب به شيئاً. ولو كان هذا الإنسان أكثر رقياً كأن يكون أحد علماء الأجنة مثلاً وسألناه نفس السؤال فمن المتوقع أن يجيب بقوله إنني أرى إنساناً يمسك في يده قلماً يكتب به موضوعاً في علم الأجنة!!.

وواضح الفارق بين علم كل كائن حي من هذه الكائنات التي سقناها في هذا المثال. إذ أن علم كل كائن من هذه المخلوقات يتناسب مع قدرته الجسدية والعقلية. وإذا كان ثمة فروق جوهرية بين علم هذه الكائنات وبين بعضها البعض وجميعها من مخلوقات الله الخالق البارئ المصور فكيف وكم يكون حجم الفارق بين المخلوق والخالق؟ !!. حقيقة أن الفارق بين علم الله العليم بالغيب وعلم خلقه ومنهم الإنسان فارق جوهري لا نهائي يحار عقل الإنسان في تصور حجمه ومداه.

وبصفة عامة يمكن القول بأن الفروق الجوهرية بين علم الله سبحانه وتعالى بالغيب وعلم البشر الذي يسمح الله الكريم به تتمثل في أربعة فروق جوهرية.

وأول هذه الفروق هو كون علم الله عز وجل بالغيب علماً أزلياً بينما علم البشر به علم لاحق. وثاني هذه الفروق هو أن علم الله العليم بالغيب علم أصلي بينما علم البشرية علم مشتق. ويتمثل الفارق الثالث في كون علم الله بالغيب علماً شاملاً بينما علم البشرية علم جزئي، وأخيراً يتمثل الفارق الرابع في كون علم الله بالغيب علماً صحيحاً بينما علم البشر بالغيب علم ظني. وفيما يلي نتناول بالإيضاح هذه الفروق مع ذكر الأدلة عليها من القرآن الكريم.

أولاً ــ علم الله بالغيب علم أزلي بينما علم البشر به علم لاحق:

يتصف علم الله علام الغيوب بكونه علماً أزليا Eternal Knowledge أي قبل أن يخلق الله ملكوته وما به من مخلوقات. إذ قدر الله سبحانه وتعالى أمر مخلوقاته كلها في اللوح المحفوظ The Tablet Preserved عنده قبل أن يخلقها، ثم قدرها في عالم الذر. ومن ثم فالله سبحانه وتعالى يعلم كل شيء عن ملكوته وكافة مخلوقاته، ومنها الإنسان، قبل أن تخلق. أما بالنسبة لعلم البشر، أن أطلعه الله عليه، فهو علم لاحق Attached Knowledge لا يبدأ إلا بعد أن يخلقه الله سبحانه وتعالى وفي مرحلة عمرية منه. ومن ثم أطلعه الله على بعض الغيب لأسباب معينة كما سبق إيضاحه. فالعلم الأزلي لله، وإن علَمَ البشر منه شئ فهو علم لاحق وعرضي وطارئ عليه. إذ أن الله سبحانه وتعالى قد أخرج كل إنسان من بطن أمه لا يعلم شيئاً، وهذا ما أوضحه الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم بقوله تعالى: ﴿*وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا*﴾(*).

ثانياً ــ علم الله بالغيب علم أصلي بينما علم البشر به علم فرعي:

ويتفق مع كون علم الله بالغيب علماً أزلياً وعلم البشر به علماً لاحقاً كما سبق بيانه في النقطة السابقة، أن يكون علم الله بالغيب علماً أصلياً Original Knowledge بينما علم البشرية علم فرعي Branch Knowledge. إذ أن ما يعلمه البشر أو أي من عباد الله من الغيب هو من إعلام الله الكريم عباده به. فما علمه بشر من الغيب إن هو إلا من عند الله العليم الخبير إحاطة الله به بأي طريقة من طرق إعلام الله عباده بالغيب على نحو ما سبق شرحه. وعلى ذلك فعلم بعض الخلق ومنهم البشر ببعض الغيب هو فرع من علم الله به. ولعل ما كان من الملائكة في قصة خلق آدم عليه السلام، والسابق تناول جانب منها، مثال على أن علم الخلق ما هو إلا فرع من علم الله. فقد علم الله سبحانه وتعالى أبا البشر

(*) سورة النحل بالآية ٧٨.

آدم عليه السلام أسماء كل شيء من بشر وطير ودواب وخلافه. ثم عرض هذه المسميات على الملائكة وسألهم أن يخبروه بأسماء كل منها، فعجزوا عن ذلك وعللوا عجزهم بسبب منطقي فحواه أنهم لا يمكنهم أن يعلموا شيئاً إلا ما علمهم الله علام الغيوب إياه. وبالطبع فهذا مبرر منطقي بحكم كونهم من خلق الله. إذ أن ما سئلوا عنه ليس مما علمهم إياه خالقهم وخالق كل شيء. ولقد ورد ذكر هذه الواقعة في القرآن الكريم في قوله تعالى: (*قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ*)(1). ومن الطبيعي فإن ما ينطبق على علم خلق الله ينطبق كذلك على علم البشر بحكم كونهم من هذا الخلق.

ثالثاً ـ علم الله بالغيب علم شامل بينما علم البشر به علم جزئي:

لما كان الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء، وهو عز وجل الذي أوجد كل موجود كان طبيعيّاً أن يكون علمه هو العلم الشامل Comprehensive Knowledge لكل شيء سواء كان في عالم الغيب أو في عالم الشهادة. ولقد أوضح الله العليم ذلك في القرآن الكريم بقوله تعالى: (*عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ*)(2). كذلك ومن ناحية أخرى يشتمل علم الله على كل شيء في السماوات والأرض بحيث لا يخفي عليه سبحانه أي شيء بها، وهذا ما أوضحه تبارك وتعالى عن نفسه العلية في القرآن الكريم بقوله تعالى: (*وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ*)(3).

ومن الطبيعي أن يكون علم البشر الذي سبق وصفه بأنه علم لاحق لعلم الله وفرعي له علماً جزئيّاً Partial Knowledge. إذ إنه جزء ضئيل جداً من علم الله الشامل. وهذا ما أوضحه الله سبحانه وتعالى بقوله: (*وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ*

(1) سورة البقرة، الآية ٣٢.

(2) سورة الأنعام، بالآية ٧٣.

(3) سورة هود، بالآية ١٢٣.

الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)[١] فمخلوقات الله من البشر والملائكة والجن وغيرها لا تعلم من الغيب إلا القليل جداً الذي أراده الله علام الغيوب لها أن تعلمه وأعلمها إياه بإحدى طرق الإعلام ببعض الغيب السابق إيضاحها. وترجع جزئية إعلام الله خلقه بالغيب إلى أن الله الحكيم يهدف من هذا الإعلام إلى تحقيق حكمة معينة لهدف معين. وطبيعي أن حجم هذا الإعلام لابد وأن يتناسب مع الهدف منه. ولعل ما جاء في قصة نبي الله نوح عليه السلام ما يدل على ذلك. إذ تخبرنا هذه القصة أن الله عز وجل قد أوحى إلى نبيه نوح عليه السلام كثيراً من العلم حول الطوفان Plagues الذي سيحدث في الأرض وكيفية نجاته هو ومن صلح من عباد الله وهذا ما ورد ذكره في قوله تعـالى: (***وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا)***[٢] وقوله تعالى: (***حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ***)[٣] وقوله تعالى: (***وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ***)[٤]. وواضح أن حكمة الله الحكيم في الإخبار المسبق لنبيه نوح عليه السلام بخبر الطوفان القادم تتمثل في تمكينه ومن آمن من قومه من التصرف المسبق والاستعداد ليوم الانتقام من الكافرين والظالمين فينجو نوح عليه السلام ومن صلح من قومه بحملهم في السفينة ويغرق الكافرون وحدهم. وعلى الرغم من كل ما أخبر الله العليم به نبيه نوحاً عليه السلام فإنه لم يخبره بأمور تتعلق بابنه. وهذا واضح من سؤال نوح عليه السلام ربه على نحو ما جاء في القرآن الكريم على لسانه في قوله تعالى: (***فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي***)[٥]، أي أنك يا رب قد وعدتني بنجاة أهلي ووعدك حق فلماذا غرق ابني؟. فرد عليه الله علام الغيوب بقوله

---

(١) سورة الإسراء، بالآية ٨٥.
(٢) سورة هود، بالآية ٣٧.
(٣) سورة هود، بالآية ٤٠.
(٤) سورة هود، الآية ٤١.
(٥) سورة هود، بالآية ٤٥.

تعالى: (***قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ***)[1]. وواضح أن الله سبحانه وتعلى لم يخبر نبيه نوحاً عليه السلام بكل الغيب في هذه الواقعة بل أخبره ببعض هذا الغيب بالقدر الذي يفي لتحقيق حكمة الله وإنجاز هدفه ومشيئته. كما امتنع الله الحكيم عن إخباره بالبعض الآخر من هذا الغيب لحكمة إلهية أخرى. بل وطلب من نبيه عليه السلام ألا يسأله فيما أخفاه عنه من غيب. إذ أن كل شيء عند الله بمقدار. ومن ثم كان طبيعياً أن يستعيذ نوح عليه السلام بربه في أن يسأل عما لم يحطه الله به من الغيب. ولعل هذا مثال واضح على أن علم خلق الله بالغيب علم جزئي إذ أنه جزء ضئيل من علم الله الشامل.

كذلك وبالعودة لموقف الملائكة في قصة خلق آدم عليه السلام، وما كان من تعجبهم من جعل الله الخالق الحكيم خليفة في الأرض من البشر الذي يفسد في الأرض ويسفك فيها الدماء يتبين أن رأي الملائكة هذا يرجع إلى ضآلة ما أعلمهم الله به من الغيب عن البشر، إذ أنهم لم يعرفوا مثلاً أن هذا البشر الذي سيخلق من طين سوف يسمو عليهم بنفخ الله ذي الجلال والإكرام فيه من روحه المقدسة. ولم يعرفوا مثلاً أن الله سبحانه وتعالى يحيط هؤلاء البشر ببعض من علمه، الذي لن يتسنى لهم أن يعلموه، لذا كان طبيعياً أن يتعجب الملائكة من جعل آدم عليه السلام وذريته خلفاء في الأرض. وكان طبيعياً كذلك أن يرد الله الحكيم العليم على تساؤلهم هذا بقوله إنه سبحانه وتعالى يعلم ما لا يعلمون، لأنهم لم يعلموا كل الغيب في هذا الموضوع. وهذا ما جاء في قوله تعالى: (***قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ***)[2]. وبعد أن عجزوا عن الإخبار بأسماء ما عرض عليهم من

---

(١) سورة هود، بالآيتين ٤٦، ٤٧.

(٢) سورة البقرة، بالآية ٣٠.

المسميات ونجح في ذلك آدم عليه السلام قال الله لهم ما جاء في قوله تعالى: (*قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ*)[١]. ويتضح مما سبق أن علم خلق الله بالغيب علم جزئي ضئيل بالنسبة لعلم الله الشامل.

وإذا كان هناك فارق جوهري بين علم الله الشامل بالغيب وعلم البشر الجزئي به بالنسبة للأمور المادية الملموسة على نحو ما ذكر، فإن الأمر كذلك بالنسبة للأمور غير المادية غير الملموسة. فعلم البشر جزئي وقليل جداً بالنسبة لعلم الله الشامل حول الأمور غير المادية وغير الملموسة. إذ على الرغم من أن الإنسان يعلم ما يدور في نفسه من آمال وآلام، ويعلم ما يحتفظ في صدره من أسرار لا يطلع عليها أحد، إلا أن علمه هذا عن نفسه أقل بكثير من علم الله العليم عنها!!. فالله عز وجل يعلم عن نفوس عباده ويعلم عما يدور بها كل شيء. وعلمه سبحانه وتعالى هذا شامل لكل شيء، بينما لا يعلم الإنسان عن نفسه إلا قدراً ضئيلاً من العلم. إذ أن علم الله عن نفوس عباده أكبر بكثير من علم هؤلاء العباد عن أنفسهم، ويتضح هذا من قوله تعالى: (*رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ*)[٢]، وقوله تعالى: (*اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ*)[٣]. كذلك مما يدل على شمولية علم الله سبحانه وتعالى وقصور علم عباده وجزئيته أن هؤلاء العباد الذي يعلم الله عز وجل كل شيء في نفوسهم لا يعلمون شيئاً عما يدور في نفس الله تبارك وتعالى وهذا ما يتضح من قوله تعالى: (*تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ*)[٤].

ومن ذلك يتبين الفارق الكبير والبون الشاسع بين علم الله عز وجل الشامل

---

(١) سورة البقرة، بالآية ٣٣.

(٢) سورة الإسراء، بالآية ٢٥.

(٣) سورة هود، بالآية ٣١.

(٤) سورة المائدة، بالآية ١١٦.

وعلم عباده الجزئي القليل إذ أن هؤلاء العباد يعلمون أقل بكثير مما يعلمه ربهم عن أنفسهم، ولا يعلمون أي شيء عن ما في نفس ربهم مهما كان هذا الشيء ضئيلاً. فسبحان من يعلم كل شيء ويهيمن عليه سواء كان هذا الشيء في السماوات أو في الأرض... غيبياً أو مشاهداً ملموساً أو غير ملموس.... كبيرا أو صغيراً.

رابعاً ـ علم الله بالغيب علم صحيح بينما علم البشر به علم ظني:

سبق إيضاح أن علم الله العليم عن الغيب علم أزلي وأصلي وشامل بينما علم البشر بالغيب علم لاحق وفرعي وجزئي مما يمكن أن يستدل منه على أن علم الله عز وجل بالغيب هو العلم الصحيح The Right Knowledge المؤكد بينما علم البشر به علم ظني A Suspicious Knowledge قد يصيب أحياناً وقد يخطئ أحياناً أخرى.

وحقيقة الأمر فليس هناك أي موضع لأدنى تساؤل حول مدى صحة علم الله. فالله سبحانه وتعالى خالق كل شيء بما في ذلك العلم نفسه وسواء كان هذا العلم غيبياً أو مشاهداً. فالله عالم الغيب والشهادة أصل العلم ومصدره ومن ثم فليس هناك أي مجال لأي خطأ في علمه وكيف يكون هناك أدنى خطأ والكون كله يعمل وفقاً لهذا العلم.. ما عرفه الإنسان منه وما لا يزال بالنسبة له في علم الغيب. وإذا كان هذا الكون كله يعمل وفق هذا العلم فما أعظم وأدق هذا العلم... هذا العلم الذي على أساسه خلق الله كل نفس وسواها وخلق الشمس والقمر والليل والنهار، وسخر كل هذا لخدمة الإنسان ووضع لكل منها ضوابط ومساراً لا يحيد عنها، فلا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا يمكن لليل أن يسبق النهار!!. إن الأمثلة كثيرة على دقة وصحة علم الله سبحانه وتعالى العليم المهيمن القيوم على كل شيء بعلمه وقدرته.

أما بالنسبة لعلم البشر بالغيب فيكتنفه كثير من الخطأ والظن. وهذا ليس

عجيباً فعلم الإنسان بما يراه في حياته الدنيا قليل جداً. فهو يجهل أكثر مما يعلم عما يراه بعينيه. فكثيراً ما نرى أشياء لا نفهم ماهيتها ولا أهميتها ولا مكوناتها وذلك على الرغم من إنها أمامنا وندركها بكل حواسنا. وإذا كان هذا هو مستوى علم الإنسان عما يدركه بحواسه فما بالنا بمستوى علمه عما لا يدركه بهذه الحواس!!. وحقيقة الأمر فإن الإنسان يجهل كثيراً مما يعتقد أنه يعرفه في عالم الشهادة ناهيك عما هو في عالم الغيب بالنسبة له.

فما يعلمه البشر عن الغيب قليل جداً ويكاد لا يذكر وللتدليل على ذلك نوضح النقاط التالية:

أ- إن الله سبحانه وتعالى لا يطلع كل عباده على الغيب، إنما يطلع عليه فقط من يرتضى منهم وهذا واضح من قوله تعالى: (***عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً* إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ***)(١). فالغالبية العظمى من البشر لا يعلمون أدنى شيء عن هذا الغيب، لأنهم ليسوا ممن ارتضى الله سبحانه وتعالى أن يطلعهم على غيبه. ولعل في قصة يوسف الصديق عليه السلام وإخوته مثالاً على ذلك. فعندما جاء إخوة يوسف عليه السلام ومنهم يهوذا بن يعقوب بقميص أخيهم وألقاه الابن يهوذا على وجه أبيهم النبي يعقوب عليه السلام ارتد إليه بصره، قال لهم: ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون. وهذا مفاده أنه عليه السلام قد أحاطه الله العليم ببعض الغيب المتعلق بابنه يوسف عليه السلام فعلم أن الله القادر سيرده إليه سالماً غانماً، ولقد جاء ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى: (***فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ***)(٢). وواضح من ذلك أن الله عز وجل اختص يعقوب عليه السلام بكثير من الغيب المتعلق بوضع ابنه يوسف دون بنيه، وذلك منذ أن أبلغوه كذباً

---

(١) سورة الجن، بالآيتين ٢٦، ٢٧.

(٢) سورة يوسف، الآية ٩٦.

بأن الذئب قد أكله فظل نبي الله على يقين من سلامة ابنه وعودته إليه سالما مهما ألمَّ به من الملمَّات وأحاطت به الخطوب.

ب- إن إطلاع الله سبحانه وتعالى بعض عباده على الغيب ليس في كل الأوقات وكل الأماكن... إذ أن هذا الإطلاع على الغيب قد يكون مرة واحدة في حياة الإنسان كلها أو مرات محدودة حسب ما يرتضي الله سبحانه وتعالى. ويتم ذلك في الوقت والمكان الذي يحدده الله سبحانه وتعالى وليس في أي وقت أو أي مكان يريده الإنسان وهذا يضع كثيراً من القصور على إمكانية استفادة الإنسان من هذا الغيب.

ج- إذا أضيف إلى كل ذلك أن علم الإنسان بالغيب جزئي وليس شاملاً كما سبق إيضاحه، بمعنى أن علم الإنسان هذا ليس في كل الموضوعات ولا حتى في كل ما يتعلق بالموضوع الواحد، فمن الطبيعي أن يكون علم البشر بالغيب علماً ظنياً قد يصيب وقد يخطئ.

وحقيقة الأمر فإن مصدر الخطأ في علم الإنسان بالغيب يرجع أساساً إلى أحد السببين التاليين:

١- قد يلتبس الأمر على إنسان ما فيتصور أن ما يدور بذهنه حول موضوع معين هو وحي أو إلهام من الله سبحانه وتعالى إليه، سواء حدث هذا في المنام و/أو في اليقظة. وتكون حقيقة الأمر أن ما يدور بذهنه ليس إلا أضغاث أحلام A Confused Medley Of Dreams أو مجرد أفكار راودت ذهنه. ونتيجة لهذا الالتباس في الأمر يتصور هذا الإنسان أنه توصل إلى معرفة ما كان خافياً بوحي أو إلهام من الله ويكون الأمر غير ذلك وهنا يقع الخطأ ويكون علم هذا الفرد حول هذه النقطة من الموضوع غير دقيق.

٢- كما سبق القول، قد يكون إعلام الله عباده بالغيب متوقفاً على الأخذ بالأسباب، وقد يَجِدُّ الإنسان في ذلك فيحيطه الله بما يشاء بهذا الغيب

وقد لا يَجِدُ هذا الإنسان بالقدر الكافي فيتوصل إلى بعض العلم غير الدقيق وكثيراً ما لا يتوصل إلى شيء على الإطلاق.

وعلى ذلك يمكن القول بأنه على الرغم من أن علم الله سبحانه وتعالى بالغيب علم صحيح ومؤكد إلا أن علم عباده به يكتنفه كثير من الظن.

يتبين مما سبق تناوله عن الغيب في هذا الفصل إنه لا يعرف الغيب إلا الله علام الغيوب وأن أحداً من عباد الله سواء كانوا إنساً أو جناً أو ملائكة أو غيرهم مما لا نعرف لا يعرف عن غيب الله شيئاً. إلا أن الله الحكيم قد يكشف بعضاً من جوانب غيبية على من يرتضي من عباده لحكم معينة لصالح هؤلاء العباد ولصالح أقوامهم.

كذلك تبين أن هناك من الغيب ما احتفظ الله به لذاته العلية ولم يطلع أحداً من عباده عليه لحكم كثيرة تختلف باختلاف نوع الغيب ومنها الغيبيات الخمس التي سيتم تناول ماهيتها وحكم إخفائها في الفصل التالي. إلا أن الله سبحانه وتعالى ولحكم كثيرة قد يظهر بعضاً من علامات هذه الغيبيات الخمس.

وفيما يلي دراسة الفروق الجوهرية بين الغيب وعلاماته، على أن نؤجل حكمه الله عز وجل من إظهار علامات الغيب عند دراسة كل غيبية من هذه الغيبيات الخمس على حدة بالفصل التالي.

الفروق الجوهرية بين الغيب وعلامات الغيب:

يمكن بيان الفروق الجوهرية بين الغيب وعلاماته في النقاط التالية:

أولاً : بينما يعرف الغيب بأنه كل ما يغيب عن الإنسان فلا يعرفه، تعرف علامات الغيب بأنها دلائل وعلامات يظهرها الله لعباده ذات مدلول معين مرتبط بالغيب. ويختلف هذا المدلول باختلاف طبيعة الغيب. فمثلاً بالنسبة لعلم الساعة يتمثل الغيب فيه في معرفة ميعاد يوم القيامة، بينما تتمثل

علامات هذا الغيب في علامات الساعة التي أخبرنا بها رسول الله ﷺ من علامات صغرى وعلامات كبرى سيرد بيانها بالفصل التالي. ويدل ظهور هذه العلامات على قرب ميعاد يوم القيامة. وكذلك بالنسبة للغيب المتعلق بنزول الغيث، فله علامات أيضاً كتجمع السحاب مثلاً مما يدل على احتمالات نزول المطر وهي ما سيرد بيانها في الفصل التالي أيضاً.

ثانياً: يخفي الله العليم الغيب لحكم معينة تختلف باختلاف نوع الغيب كما سيأتي إيضاحها بالفصل التالي. بينما يظهر الله بعض علامات الغيب لحكم أخرى تختلف كذلك باختلاف نوع الغيب. وتتمثل الحكم الإلهية في إظهار بعض علامات الغيب في النقاط التالية:

أ- البرهان على قدرة الله القدير وصدق كل ما بلغ به أنبياؤه ورسله، فيتعمق الإيمان بالله في القلوب أو ينشأ أصلاً. وهذا ما يحدث بالنسبة لإظهار بعض علامات الغيب لجميع أنواع الغيبيات.

ب- إنذار البشر كافة بضرورة الإسراع إلى ترك المعاصي لنيل رحمة الله ومغفرته قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال. وهذا ما يحدث بالنسبة لإظهار بعض علامات الساعة من وقت لآخر.

ج- تهيئة سبل العمل الشريف وزيادة فرصة الكسب الحلال أمام البشر بإظهار الله عز وجل بعض علامات غيبه حول احتمالات الكسب من نشاط معين أو عمل معين بإلهامهم بالقيام ببعض الدراسات حول هذه المجالات وذلك بالنسبة للغيبية المتعلقة بماذا تكسب نفس غداً؟. وهو ما سيرد دراسته بالتفصيل بالفصل التالي.

د- رحمة الله الرحيم بعباده بجعل حياتهم في الدنيا أكثر صحة وسلامه بإظهار بعض علامات غيبه عما بالأرحام للبشر بإلهامهم بدراسة أحوال هذه الأرحام، وهو ما سنتناوله بالتفصيل فيما بعد.

ثالثاً: لا يمكن للبشر البحث في الغيب ذاته بغية الإطلاع عليه، وإن حاولوا فلا يمكنهم التوصل إلى شيء عنه بهذه الأبحاث. وذلك عكس الحال بالنسبة لعلامات الغيب والتي يمكن للبشر إخضاعها للدراسة في المعامل والمختبرات بهدف التوصل إلى معلومات بشأنها. فعلى سبيل المثال لا يمكن للإنسان القيام بأبحاث لتحديد يوم القيامة في الوقت الذي يحاول استكشاف بعض علاماتها بالقيام بدراسات حول طبيعة الكون وعمر الأرض وحركة الكواكب والنجوم ومراقبة وتتبع ظهور علامات الساعة على مر الأيام. كذلك لا يمكن للإنسان دراسة مستقبل الجنين كإنسان في حياته الدنيا أو في آخرته، بينما يمكنه دراسة بعض أحواله بالرحم لعله يتمكن من الوصول إلى بعض الدلائل عن احتمالات معينة خاصة به مثل صحته وصفاته الوراثية. وهذا ما سنتناوله بالتفصيل فيما بعد.

رابعاً: ما يعلمه الله من غيب هو علم يقيني، بينما ما يمكن للبشر أن يعلمه من علامات الغيب هو علم ظني احتمالي. فكما هو معروف وسبق إيضاحه، فإن علم الله عز وجل عن الغيب وغير الغيب علم يقيني لا تشوبه شائبة أو نقص، بينما علم البشر دائماً يشوبه النقص وتعوزه الدقة وخاصة إذا كان مرتبطاً بعلامات الغيب. فلو أن علامات الغيب التي يعرفها الإنسان كانت كاملة الدقة لكشفت عن الغيب أو كانت الغيب ذاته، وهذا أمر مستحيل بطبيعة الحال. فعلى سبيل المثال فإن علامات الساعة مهما كانت واضحة ودقيقة فإنها لا يمكن أن ترقى دليلاً دقيقاً على تحديد ميعاد قيام الساعة، بل تظل مجرد علامات على قربها. فعلامات الساعة الصغرى تعنى في مجملها انتشار الفساد في الأرض. ومهما انتشر هذا الفساد فإن الخير سيظل موجوداً في الأرض ومعمولاً به مهما تضاءل حجمه إذ ستظل طائفة من المسلمين متمسكة به إلى أن تقوم القيامة. وذلك كما يفهم

من الحديث الشريف في هذا الشأن(*). ومن ثم فلا يمكن الوصول إلى وقت يعم فيه الفساد تماماً وينتهي فيه الخير تماماً ليكون ذلك من العلامات الدقيقة على تحديد دقيق لميعاد قيام الساعة. كذلك فإن تتابع ظهور علامات الساعة الكبرى لا يعني أكثر من قرب قيام الساعة لكن متى ينفخ في الصور فلا يعلم ذلك إلا الله العليم الخبير... فربما لا تقوم الساعة إلا بعد ظهور آخر علامة من العلامات الكبرى بآلاف السنين!!. كذلك فإن تراكم السحب من علامات قرب نزول الغيث، لكن هذه العلامات ستظل مجرد علامات فمن من البشر يمكنه إنزال هذه السحب أمطاراً وفي منطقة معينة؟. هل يمكن لبشر أن يسخر الرياح لدفع السحب إلى مناطق معينة تنزل فيها غيثاً؟ طبيعي أن الإجابة على هذا السؤال بالنفي كما سيتضح تفصيلياً من الفصل التالي. وفي نفس الوقت لو أمكن لإنسان أن يحسب على وجه الدقة كل ما يمكن أن يرزق به في المستقبل لكان معنى ذلك أنه قد استطاع تحديد جانب من الغيب المتعلق بماذا يكسب غداً، وهذا مستحيل بطبيعة الحال كما سيرد بيانه كذلك في الفصل التالي. إلا أن كل ما يمكن للإنسان أن يعرفه في ذلك هو مجرد علامات ظنية ذات طابع احتمالي!!. كذلك فإن استخدام الإنسان لأدق الحاسبات الإلكترونية لحساب ودراسة التوقعات المستقبلية لربحه أو دخله من مشروع معين لا يمكن أن يوصف على الإطلاق بأنه عملية كشف للغيب المتعلق بما تدري نفس ماذا تكسب غداً. إذ أن هذه التوقعات المستقبلية عن الكسب تظل أموراً ظنية احتمالية

(*) أخرج الحاكم في مستدركه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق إلى أن تقوم الساعة". وقال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجه الإمامان البخاري ومسلم ووافقه الذهبي. انظر أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدوية النيسابوري (الحاكم) المستدرك على الصحيحين، مرجع سابق، الجزء الرابع كتاب الفتن، ص ٤٤٩.

قد تتحقق وقد لا تتحقق. أي أن هذه التوقعات المستقبلية ما هي إلا علامات للغيب وليست الغيب ذاته.

خامساً: بينما يظهر الله علاّم الغيوب بعضاً من غيبه لبعض عباده، فإنه يظهر علامات الغيب لعباده كافة. فكما سبق القول فإن الله لا يظهر بعضاً من غيبه إلا لبعض الصالحين من عباده الذين يرتضيهم عز وجل لأهداف معينة. وواضح مما سبق كذلك أن طبيعة هذه الأهداف تختلف باختلاف نوعية الغيب نفسه كما تختلف باختلاف واقعة كشف الغيب ذاتها. ومن ثم كان طبيعياً أن يختص الله بهذا الغيب وبهذه الوقائع أشخاصاً معينة من عباده يرتضيهم ولهم صلة معينة بها. إلا أنه نظراً لأن إظهار الله لعلامات الغيب ذو حكم كثيرة تهم البشر جميعاً كان طبيعيّاً ألا يختص الله الحكيم بإظهار هذه العلامات على عباد معينة دون الآخرين، ومن ثم فيشمل أمر هذا الإظهار كافة العباد ليستفيدوا منه جميعاً.

أساليب إظهار الله علامات الغيب:

هناك عدة أساليب يظهر بها الله عز وجل علامات غيبه لعباده. وتختلف هذه الأساليب فيما بينها باختلاف الغيب نفسه وفيما يلي إيضاح لهذه الطرق:

١ - الظهور التلقائي لبعض علامات الغيب:

قد يظهر الله سبحانه وتعالى بعض علامات غيبه ظهوراً تلقائيّاً بمرور الأزمان، وذلك لطبيعة خاصة بهذه العلامات وذلك مثل إظهار علامات الساعة الصغرى والكبرى. فبمرور الزمن تظهر هذه العلامات وفقاً لطبيعة سلوك العباد وفي نطاق مشيئة الله الذي قدر كل شيء بقدر.

٢- ظهور بعض علامات الغيب نتيجة للأخذ بالأسباب:

قد يكشف الله عز وجل بعض علامات غيبه لعباده نتيجة لأخذهم بالأسباب، واجتهادهم فيها. فإذا ما اهتم البعض بإجراء دراسات معينة وبحوث خاصة بموضوعات معينة وبذلوا في ذلك الجهد اللازم بإخلاص، فقد يكشف الله الحكيم بعضاً من المعلومات التي يبحثون عنها من خلال تجاربهم. وتتجلى العدالة الإلهية في هذا الأمر بشكل واضح، إذ أن الله العادل لا يختص بهذا الإظهار أناساً معينين من عباده على نحو ما يتبع عند إظهار بعض الغيب كما سبق أن تبين. بل إن الله عز وجل بعدله وحكمته يعطي ما يريد من علمه لكل البشر حسب جهدهم وعرقهم بصرف النظر عن كون هؤلاء البشر مؤمنين به أو غير مؤمنين طالما أخذوا بالأسباب، لأن الله المتعال لا يريد لعباده أن يؤمنوا به ويخضعوا له خضوع أعناق بل يريد لهم إيماناً طيباً طاهراً متنزهاً عن الإجبار.

٣- ظهور بعض علامات الغيب بالعشوائية المحكومة:

تبين من النقطة السابقة أن الله سبحانه وتعالى قد يظهر لعباده بعض علامات الغيب إذا ما اتبعوا بجهود مخلصة خطوات علمية معينة وفقاً لمنهج بحثيّ مدروس بعناية وبمنطق سليم، إلا أن الله قد يكشف لبعض من هؤلاء البشر وبطريق عشوائي بعض المعلومات الأخرى التي لم يكونوا أصلاً يسعون إليها أو يتوقعونها. وعلى الرغم من أن هذا الكشف قد تم في هذه الحالة بطريق عشوائي، إلا أن هذه العشوائية ليست عشوائية مطلقة إنما هي نوع عجيب من العشوائية يمكن تسميته بالعشوائية المحكومة. فعندما يحين الأجل الذي حدده الله القادر المقدر لكشف علم ما أو غيب ما يختار من البشر من هو دائم البحث والدراسة والتأمل والاجتهاد في مجال ما، فيكشف له معلومات تتعلق بموضوع معين ربما يختلف كلية عن موضوع بحثه الذي يقوم به. وفي النهاية فإن هذا الكشف لأحد علامات الغيب يفيد البشر جميعاً.

ولقد حاول الإنسان منذ زمن سحيق كشف حجب الغيب، رغبة منه في معرفة ما يحدث في المستقبل فيما يتعلق بأمور كثيرة ترتبط بحياته الدنيا مثل عمره وأمور زواجه وخلفته وعمله وتجارته وكسبه أو خسارته في أحوال كثيرة ونتائج الحروب وتولي الوظائف والمناصب وغيرها، فالإنسان بطبعه خلق عجولا لا يطيق الانتظار.

ولقد دأب الكثيرين على الاستعانة بالكهنة والعرافين لمعرفة المستقبل. ولقد حاول هؤلاء الدجالين إيجاد علاقة بين مواقع النجوم والأحوال التي تقع للإنسان على الأرض. كذلك حاول البعض منهم تسخير الجان لمعرفة بعض أحوال أهل الأرض كما سبق بيانه. ولقد أنفق البشر في ذلك أموالاً طائلة وبذلوا في ذلك الكثير من الجهد دون جدوى.

وفي أيام الجاهلية وقبل ظهور الإسلام كان الكثيرون يتجهون إلى أصنامهم وأزلامهم لعلها تهديهم إلى معرفة أي شئ عن مستقبل بعض أحوالهم وقدموا في سبيل ذلك كثيراً من الذبائح والقرابين، وبعد ظهور الإسلام وانتشاره حُرم على المسلمين إتيان الكهنة والعرافين واستخدام الأصنام والأزلام في محاولة كشف حجب الغيب والجري خلف هذا السراب. فعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: "من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ"(١) وعن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: "من أتى عرافاً فسأله عن شئ لم يقبل الله له صلاة أربعين ليلة"(٢).

ولقد ذهب بعض المسلمين إلى رسول الله ﷺ يسألونه عن البديل الشرعي لاستخدام الكهنة والعرافين والأصنام والأزلام في استشراف المستقبل

(١) رواه أحمد ومسلم.

(٢) رواه أحمد ومسلم.

والاطمئنان إلى سلامة قراراتهم المستقبلية فأمرهم بالاستغفار والدعاء وقـراءة القرآن ليفتح الله على الإنسان ويوفقه ويتم له مقصده ويقدر له الخير. كما سـن لهم صلاة الاستخارة.

فعن رسول الله ﷺ قال: "من سعادة ابن آدم استخارته الله"[١] وعنه ﷺ قال: "إذا هم أحدكم بالأمر، فليركع ركعتين من غير الفريضة"[٢]

وصلاة الاستخارة على العموم عبارة عن ركعتين يصليهما المستخير من غير الفريضة يقرأ فيهما بما شاء ويفضل أن يقرأ في الركعة الأولى بعد فاتحـة الكتاب سورة الكافرون ونصها: ***(قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ* لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ* وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ* وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ* وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ* لَكُـمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ)*** ويقرأ في الركعة الثانية بعد الفاتحة سورة الإخلاص ونصـها: ***(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ* اللَّهُ الصَّمَدُ* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ* وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ)*** ثم بعد قراءة التشهد يسأل المصلي ربه العليم الخبير عما يشاء وبعدها يشرح الله صـدر الفرد بالأمر المستخير عنه وييسره فيتم، أو يضيق صدر الفرد بالأمر ولا ييسـره الله فلا يتم. وقد يرى المصلي رؤية في المنام يفهم منها إجابة الله على سـؤاله إن كان الأمر المستخار فيه خيراً أم شراً.

وواضح أن قراءة سورة الكافرون في الركعة الأولى تؤكد تبّرؤ المستخير من الكفر وكل ما كان فيه (ويشمل ذلك بالطبع إتيان الكهنة والعرافين وسؤال الأصنام واستخدام الأزلام في كشف حجب الغيب) كما تؤكد تمسك المستخير بالإسلام وكل ما جاء به (يشمل ذلك بالطبع الصلاة ومنها صلاة الاستخارة) وكذلك فإن قراءة المستخير سورة الإخلاص في الركعة الثانية معناها لجوء المستخير إلى الله الواحد الأحد، يسأله لأنه سبحانه وتعالى وحده الذي يعلم الغيب.

---

(١) أخرجه أحمد والحاكم وأبو يعلي وابن حبان والبزار بسند جيد والترمذي.

(٢) رواه البخاري.



الفصل الثاني

الغيبيات الخمس وحكمة إخفائها

الفصل الثاني

الغيبيات الخمس وحكمة إخفائها

قال الله سبحانه وتعالى علام الغيوب في سورة لقمان: (*إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ*)(١). يتناول هذا الفصل دراسة الحكم الإلهية البالغة من إخفاء الله العليم هذه الغيبيات الخمس السابق ذكرها في سورة لقمان، بحيث يتم دراسة هذه الغيبيات بترتيب ورودها في السورة، وهي علم الساعة وإنزال الغيث وعلم ما في الأرحام وماذا تكسب النفس غداً وبأي أرض تموت.

علم الساعة

The Knowledge of the Hour

مفهوم الغيب في علم الساعة.

يقصد بوقت قيام الساعة اليوم الآخر أو يوم القيامة أو يوم الحساب وفيه قال الله سبحانه وتعالى: (*يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ*)(٢)، كذلك قال عز من قائل: (*يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا* فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا* إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا*)(٣). وواضح أن الله العليم قد أخفى وقت قيام الساعة

---

(١) سورة لقمان، الآية ٣٤.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٨٧.

(٣) سورة النازعات، الآيات من ٤٢ إلى ٤٤.

عن عباده جميعاً بمن فيهم خاتم الأنبياء والرسل سيدنا محمد ﷺ، فلا تأتيهم إلا بغتة.

ولا يقتصر مفهوم الغيب في علم الساعة على عدم معرفة وقت قيام القيامة فقط بل يشتمل كذلك على وقت وفاة كل إنسان. إذ أن من مات فقد قامت قيامته.

علامات الساعة:

وعلى الرغم من أن الله سبحانه وتعالى قد أخفى ميعاد قيام الساعة إلا أنه عز وجل قد أوضح لنا أماراتها وأشراطها، ولعل هذا مراد قوله تعالى (*إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا*)(١). أي أنه على الرغم من عدم إخبار الله أحداً بها فإن لها علامات وأمارات(٢). ومن هذه الأمارات ما قد ظهر بالفعل ومضى وانقضى مثل بعثة النبي محمد ﷺ وموته وفتح بيت المقدس واستشهاد أمير المؤمنين عثمان بن عفان وغيرها، ومنها ما ظهر واستمر ولم ينقض بل لا يزال في ازدياد، وهو ما قد يطلق عليه علامات الساعة الصغرى مثل إضاعة الصلاة، وتبديد الأمانة، وأكل الربا، واستحلال الكذب، والاستخفاف بالدماء، والتطاول في البنيان، وبيع الدين بالدنيا، وتقطيع الأرحام، ونزع العلم من الأرض، وإسداء الأمر إلى غير أهله، وأن تلد الأمة ربتها، وغير ذلك الكثير من العلامات التي تدل على التدهور المستمر للأخلاق.

وهناك علامات الساعة الكبرى التي تظهر قبل قيام الساعة بوقت قليل مثل ظهور المهدي المنتظر وهو الإمام المقتدى بأقواله وأفعاله، وخروج الدابة التي تكلم الناس وفتنة المسيخ الدجال ونزول عيسى عليه السلام وخروج يأجوج

---

(١) سورة طه، بالآية ١٥.

(٢) الإمام جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، والإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تفسير الجلالين، كتاب الشعب، دار الشعب، القاهرة، ص ٢٧٧.

ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها وخروج نار شديدة من أرض اليمن تمتد بأرض الجزيرة العربية شمالاً. وفيما يلي إيضاح ذلك:

أ - علامات الساعة الصغرى:

بالنسبة لعلامات الساعة الصغرى فقد ظهرت جميعها، فكثير من أهل هذا الزمان من الشباب والشيوخ أضاعوا الصلاة، وأصبح من الأمور العادية أن تجد أناساً كثيرين يجلسون على المقاهي، وما أكثرها هذه الأيام، يسمعون الأذان ولا يسارعون للصلاة، بل حتى لا يؤدوها وإن أدوها يؤدونها وهم كسالى كما أن كثيراً من القنوات التليفزيونية تذيع برامج وحفلات رقص خليعة وقت الأذان لا تنوه إلى دخول وقت الصلاة وإن فعلت فبشكل روتيني باهت. ويجلس الكثير ليشاهد السفور والإباحية بالساعات الطوال ويمتعض كثيراً ممن ينبهه إلى استثمار دقائق في الصلاة!!.

كذلك لم تعد الأمانات مصانة كما كانت ويصعب أن تجد اليوم من يحفظ الأمانة على نحو يرضي الله. إن كانت هناك حقوق مؤجلة فتضيع حتى وإن وثقت بمستندات وأصبح الشيك ورقة لا قيمة لها، وأصبحنا نسمع عن شيك الوفاء وشيك الضمان والاثنان لا وفاء ولا ضمان لهما. وإن أقام صاحب الحق الدعوى وأنفق فيها من العمر والمال الكثير، وإن تمكن أخيراً من إقامة الحجة وصدر له حكم قضائي لصالحه فلا ينفذ، وإن تم فيتم بشق الأنفس.

وأكل الربا هو السمة السائدة في المعاملات المالية هذه الأيام، بفتوى أو بدون فتوى، وأصبحت المعاملات الإسلامية شاقة وعائدها قليلاً جداً إما لفساد بعض القائمين عليها وإما لظروف صعبة تواجهها بعض البنوك والمؤسسات الإسلامية في مجتمعاتها التي تضع الكثير من العقبات أمامهم.

كذلك إذا ما نظرت صوب أي اتجاه تجد كثيراً من الكذب والغش والخداع، وإذا ما جلست في أي مجلس فكثيراً ما تسمع أباطيل تخالف المبادئ

والأعراف يرددها المتحدث لأنها تتفق مع مصالحه دون أي اعتبار للحقيقة وللصالح العام، وفي مجلس آخر تجده يتحدث بعكس ما قال آنفاً لأن المصالح تتغير باستمرار ولا عزاء للأخلاق.

والاستخفاف بالدماء أصبح سمة العصر فكثيراً ما تقوم حروب وانقلابات عسكرية في كثير من البلدان بدون سبب اللهم إلا أن شخصاً أنانياً أرعن وجد تحت إمرته سلاحاً ووجد الفرصة مواتية ليستولي على الحكم ويقتل من الضحايا وعديمي الحيلة في هذه الانقلابات اللا أخلاقية الكثير ويهرع الأهالي للاحتماء بالغابات والجبال وتسفك الكثير من الدماء بدون رادع أو حساب. وعلى المستوى الفردي فكثيراً ما نسمع عمن قتل رفيقاً له ليسرق حافظة نقوده التي لا تحتوي إلا على بضعة جنيهات أو قروش قليلة. أو أن زوجاً قتل زوجته لأنها طالبته بشراء لبن لطفلهما في الوقت الذي ينفق فيه على القمار والأثافي والرذائل الكثير.

والتطاول في البنيان .. حدث عنه ولا حرج، فهناك أحياء كاملة كلها أبراج عالية وقد صممت أصلاً لتكون مساكن بسيطة عادية، وبعد ذلك ينشغل سكان هذه الأبراج في التناطح بين بعضهم البعض والتشاجر لأتفه الأسباب، فمنهم من لا يريد أن يسدد ما عليه من قيمة الصيانة، وآخر لا يراعي حرمة جاره والجميع يشكون انقطاع المياه وعدم وصولها إلى أدوارهم السفلى فضلاً عن العليا!!.

وبيع الدين بالدنيا ما أكثره هذه الأيام ولا حياء لكثير ممن يدعون برجال الدين وتدثَّروا بردائه، وأصبحنا نرى منهم من يطالب فقيراً من الدهماء بأن يطلق زوجته ليزوجها أحد ولاة الأمر بدعوى طاعة الله ورسوله وأولي الأمر!!.

والتجرؤ على الفتوى حدث عنه ولا حرج، فأصبحت الفتاوى تلقى هنا وهناك من أصحاب الهوى وأنصاف المتعلمين، ورأينا من يكفر شهيداً مقداماً رضى بصدر رحب أن يمزق جسده لتحرير مسجده وترابه!!.

وتقطيع الأرحام أصبح أمراً عادياً هذه الأيام، فلم يعد بعض الأبناء يستخدمون فقط كلمة (أف) لأمهاتهم وآبائهم، بل أن هناك مفردات أخرى طرأت على معجم ألفاظهم كلها سباب وقذف وإيذاء، بل أن البعض يضرب أمه وأباه ويقوم البعض بطردهم من بيتهم ليستقبل فيها زوجة المستقبل!!.. ينشئ بيته الصغير على حساب بيته الكبير!! وهناك من يضرب أباه أو أمه إرضاء لزوجته، بل إن منهم من يقتل أحدهما أو كليهما. وهناك من يعادي أخاه ويحاربه في رزقه وبيته وأبناءه دون مراعاة لصلة الرحم، وأصبح مفهوم الأخوة الأعداء متداولاً وعادياً وغير مستغرب.

ونزع العلم من الأرض فحدث عنه ولا حرج ...!! لن أتحدث عن انقراض الكتاتيب ببعض البلدان الإسلامية وندرة دور تحفيظ القرآن الكريم. ولن أتحدث عن تدهور المستوى التعليمي والعلمي لخريجي كثير من المدارس بهذه البلدان، لدرجة أنك تجد بعضاً ممن يحملون شهادات متوسطة وجامعية لا يجيدون الكتابة، بل أن بعضهم لا يجيد القراءة، ويا لحزني وكمدي على ما أصاب أمة اقرأ. ومن يلتفت حوله يجد أن من يموت من العلماء والمفكرين يحل محلهم الجهلاء والغوغاء. ومن يحيا من هؤلاء العلماء والمفكرين لا يجد المال لينفق على نفسه وذويه، ناهيك عن إيجاد المال لطباعة كتاب يحتوي على علمه وفكره، وإن حدث وطبع الكتاب فلا يقرأه أحد، في الوقت الذي تجد فيه الشاب أو الفتاة مهتماً بشراء كاسيت للخلاعة والمجون. واليوم لو سألت طالباً عن أحد أبطال الإسلام أو التاريخ أو أحد رجالات الفكر أو العلم أو الأدب تجده خالي

الوفاض لكن لو سألته عن أحد المتطعين المنتسبين زوراً إلى الفن تجده يتحدث عنه باستفاضة شارحاً لك غرامياته ونزواته!!.

وبالنسبة للدراسات العليا بجامعات كثير من البلدان الإسلامية فمحزن حقاً، ويبعث على الإحباط. ففي معظم الأحوال تمنح الأقسام العلمية المختلفة في الجامعات شهادات علمية يسمونها ماجستير ودكتوراه وهي لا تعدو أن تكون شهادات زور وبهتان منحت لطلاب مستواهم العلمي لا يؤهلهم للحصول على درجة البكالوريوس أو الليسانس في تخصصاتهم ... وعجبي!!.

ونتيجة لكل هذا وذاك امتلأت بعض الجامعات ومراكز البحوث العلمية بحملة هذه الشهادات الزور وأصبحوا يحاربون كل من بذل الجهد والعمر ليعلم نفسه ... أصبح العلماء أقلية وسط الأغلبية من عديمي الموهبة وأشباه الباحثين وأنصاف الأساتذة بهذه الجامعات، وطبعاً هناك حروب مستعرة بين الطرفين باستمرار لصعوبة التعايش بين النقيضين.

وهناك من هؤلاء الأشباه والأنصاف من لم يهتم بتعليم أبناء بلاده، كما لم يهتم بأن يكون قدوة لهم، بل تقاعس عن القيام بمهامه الجامعية المعتادة.

ونسى هؤلاء أن العلم رسالة، وأن العلماء هم ورثة الأنبياء، وبدونهم لا تتقدم الدول، وأنهم سوف يقفون أمام الله العليم الخبير يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من إذن له الرحمن وقال صوابا.

نسى هؤلاء أنهم بتقاعسهم يساهمون في إفقار دولهم، وتدمير مستقبل أبنائهم، وتركهم عالة على الدول الأخرى يتكففونها، وقد كانوا خير أمة أخرجت للناس، نسى هؤلاء أو تناسوا أن دور الجامعة هو قيادة المجتمع وتنميته، وأن بدون جهود العلماء لا يمكن تنمية هذه المجتمعات،

وإن حاولت هذه المجتمعات التقدم بـدون جهـودهم فإنهـا لا تسـتطيع إلا أن تحجل كالعرجاء!!.

وإسداء الأمر إلى غير أهله أصبح سمة العصـر، فكثيـر مـن الـدول الإسلامية تعمل وتدار في كثير من المواقع بغير الأكفاء من أبنـائ+هـا ممـن يجيدون القفز والظهور والنفاق والرياء، وتواري الأكفاء خجلاً واحتراماً لـذاتهم وأصبحنا نرى القاعدة الاقتصادية التي تقول (أن العملة الرديئة تطـرد العملـة الجيدة من السوق) واقعاً فعلياً... رأينا هذه القاعدة تطبق وبشكل أكبر في الحياة اليومية بين الناس.

وولدت الأمة ربتها، وهذا حدث ويحدث كثيراً في البلـدان الإسـلامية إذ يطأ الرجل عاملة فقيرة أو خادمة تعمل لديه فتنجب له فتاة تكبر وتصير مالكـة لكل شئ فيما بعد ووالية على والدتها وتتحكم بها. حتى في كثير من الأسر الآن تجد أن الابنة عندما تكبر تصير متحكمة في أمها، وتطلب منهـا أن تطيعهـا، وتعتبر صاحبة الأمر والنهي في المنزل دون مراعاة لقدسية الأمومة بدعوى أنها تعلمت أكثر منها أو أنها من الجيل الحديث ذي العقل الراجح!!.

كذلك على المستوى الدولي، ألم تخرج أمريكا من رحم إنجلترا التي كانت تابعة لها وانفصلت عنها فيما بعد، والآن ألا نرى أن أمريكا هي ربـة إنجلتـرا التي تخضع لها كالأَمَة وتسارع إلى طاعتها في كل قراراتها ورغباتها وتخـدم أغراضها دائماً!!.

ب – علامات الساعة الكبرى:

أما بالنسبة لعلامات الساعة الكبرى، فقد بدأت مقدماتها فـي الظهـور، وأتذكر أبان تشريفي بالإقامة في مكة المكرمة وفي إحدى الليـالي الرمضـانية، كنت خارجاً من الحرم المكي لتوي بعد الانتهاء من تأدية صلاة القيام واستقللت مع بعض المصلين الحافلة من أمام الحـرم لأعـود إلـى منزلـي كالمعتـاد،

وهناك كان أحد المصلين في حالة روحانية عالية فأخذ يستغفر الله ويدعو الجميع للاستغفار، وأثناء حديثه قال يا مسلمون انتبهوا فإن الساعة قريبة ألا ترون أن نفق أجياد قد حفر، فقال له أحد الرجال بالحافلة ماذا تقصد أيها الشيخ، فقال يا أخي مذكور في الأثر أن الدابة التي تكلم الناس(*) ستخرج من نفق عند أجياد، وهي منطقة شرق الحرم المكي، ولم يكن وقتها أنفاق ولا شئ والآن حفرت الأنفاق ومنها نفق أجياد الذي ستخرج منه الدابة!!!

وبالنسبة لطلوع الشمس من مغربها فقد أثبت العلم الحديث أن الكرة الأرضية التي تدور حول نفسها من المغرب إلى المشرق تقل سرعتها شيئاً فشيئا، فسرعتها الآن أقل من سرعتها منذ نشأتها وسوف تظل تبطئ في سرعتها مما يجعل اليوم يطول في ساعاته، وسوف يأتي الوقت الذي يكون فيه طول اليوم كطول الأسبوع، ثم كطول الشهر، ثم كطول السنة، وهكذا وسوف تظل سرعة الكرة الأرضية في الانخفاض حتى تنعدم تماماً وتقف في الفضاء بلا حراك!! وبعد ذلك مباشرة سوف تتحرك الكرة الأرضية في الاتجاه المضاد بفعل قوة القصور الذاتي Inertia أي أنها تبدأ في الدوران من المشرق إلى المغرب وعندها سوف تشرق الشمس من المغرب بالفعل.

كذلك أثبت المسح الأرضي لشبه الجزيرة العربية باستخدام الأقمار الصناعية وأجهزة الاستشعار عن بعد، وجود نار شديدة كامنة تحت خط يبدأ من اليمن جنوباً حتى نهاية الجزيرة العربية شمالاً، وبمحاذاة

(*) جاء ذكر الدابة في القرآن الكريم في قوله تعالى: "*وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ*" (سورة النمل:٨٢).

البحر الأحمر وهذه النار سوف تظهر وقت أن يأذن لها الله على هيئة براكين متفجرة على نحو ما هو معروف من علامات الساعة!!!.

ولقد أوضح الله عز وجل أمارات الساعة وأشراطها ليكون الناس على بينة من أمرهم، وخاصة في آخر الزمان، عندما يعم الكفر ويشيع الفسق بين الأقوام فيسارع من يسارع منهم إلى مغفرة من ربه لعله ينجو بنفسه من سوء المصير[١].

ولقد أخفى الله سبحانه وتعالى وقت قيام الساعة على جميع عباده بمن فيهم الأنبياء والرسل. ليس هذا فقط، بل إن إسرافيل ملك الصور لا يعرف عن ذلك شيئاً، إذ كان منذ أن خلق الله السماوات والأرض ولا يزال واضعاً الصور على فاهه شاخصاً ببصره إلى عرش ربه ينتظر أن يؤمر بالنفخ فيه إيذاناً بقيام الساعة[٢]. ولقد عبر الله عز وجل عن ذلك في القرآن الكريم بقوله تعالى: ***(وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ)***[٣].

أمثلة من القرآن الكريم توضح عدم معرفة البشر متى سيموتون.

فيما يلي أمثلة من القرآن الكريم توضح عدم معرفة البشر متى سيموتون:

أ - مثال من قصة الذبيح إسماعيل عليه السلام:

ولعل في قصة الذبيح نبي الله إسماعيل عليه السلام ما يؤكد على هذه الغيبية المتعلقة بأن الله وحده عنده علم الساعة. فإسماعيل عليه السلام نبي بن نبي من أولي العزم هو إبراهيم عليه السلام ومع ذلك فلم يكن لديهما أي علم عن موعد موت نبي الله

---

(١) العلامة السفاريني، من علامات القيامة الكبرى.. المسيخ الدجال وأسرار الساعة، مكتبة التراث الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، القصر العيني، القاهرة.

(٢) الشيخ متولي الشعراوي، الغيب، مرجع سابق، ص ٧٣.

(٣) سورة الزمر، بالآية ٦٨.

إسماعيل عليه السلام [1] فقد رأي نبي الله إبراهيم عليه السلام في منامه أنه يؤمر بذبح ولده هذا، ولما كانت رؤيا الأنبياء وحي فقد مثلت هذه الرؤية أمراً من الله واجب التنفيذ، فعرض نبي الله هذه الرؤية على ولده فامتثل لأمر الله طاعة لله ولوالده. وشرع إبراهيم عليه السلام في تنفيذ أمر ربه فأضجع ابنه عليه السلام كما تضجع الذبائح وسمى نبي الله وكبر وتشهد الابن البار للموت. وهنا أمر الله الرحمن الرحيم السكين التي تمر على حلقه ألا تقطع شيئاً، وعند ذلك نودي إبراهيم عليه السلام من الله عز وجل بأنك صدقت مع ربك ونجحت في الاختبار وأثبت طاعتك ومبادرتك أمر ربك وقدّمت ولدك للقربان وجعل الله فداء ذبح ولده ما يسره الله تعالى له من العوض عنه وهو كبش أبيض أيمن أقرن قد رعى في الجنة أربعين خريفاً فذبحه.

السؤال الآن هو ألم يكن نبيا الله إبراهيم وإسماعيل ***عليهما السلام*** يظنان أن ساعة موت إسماعيل عليه السلام قد حانت؟ "ألم يسم إبراهيم ويكبر قبل أن يذبح" ألم يتشهد نبي الله إسماعيل عليه السلام على روحه قبل ذبحها... ؟!! ... لكن هل كانا ***عليهما السلام*** لديهما العلم الصحيح بموعد موت إسماعيل عليه السلام؟ "ألم يكن هذا العلم عند الله وحده؟"!!! ولقد جاءت قصة إبراهيم وابنه الذبيح ***عليهما السلام*** في قوله تعالى: (***فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ***)[2].

كذلك أخفى الله وقت وفاة كل نفس، إلا أنه أعطى لها أمارات أيضاً. صحيح أن الوفاة تأتي في أي وقت لأي نفس بصرف النظر عن العمر أو الصحة أو أي

---

(١) إسماعيل بن كثير، قصص الأنبياء، دار التراث العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ص. ص ١٥٩ – ١٦٤.

(٢) سورة الصافات، الآيات من ١٠٢ إلى ١٠٧.

شيء آخر إلا أن هناك علامات جعلها الله الرحمن الرحيم ليسارع عباده إلى فعل الخيرات وترك المنكرات وخاصة إذا طال بهم الأمد. ومن هذه العلامات ظهور الشعر الأبيض ثم اشتعال الرأس شيباً وبدء سقوط الأسنان وضعف البدن ووهنه وانحناء الظهر وغير ذلك من علامات كبر السن وقرب انتهاء الأجل.

ب – مثال من قصة أصحاب الكهف:

كذلك في قصة أصحاب الكهف مثالاً على أن أحداً من البشر لا يعرف متى سيموت. إذ أرقدهم الله في كهفهم مئات السنين ليفروا بدينهم من الملك الكافر الظالم، ثم أيقظهم الله ليري الناس آيات الله وليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها، ثم أماتهم بعد ذلك. فلم يعرفوا متى رقدوا وكم سنة لبثوا في ذلك ومتى سيموتون بعد ذلك. وهذا يؤكد أن الله وحده عنده علم الساعة للبشر جميعاً. ولكل إنسان على حدة. وهذا ما ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: (***وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً * هَؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً * وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقاً * وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً * وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً * وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً * إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ***

يُعيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا * وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا)(١).

ج – مثال من قصة أرميا عليه السلام:

ومن البشر من مات في زمن دون أن يدري متى، ثم بعثه الله، ثم مات في زمن آخر وذلك مثل ما حدث مع نبي الله أرميا عليه السلام(٢) إذ أوحى الله إليه (أني عامر بيت المقدس فاخرج إليها فانزلها). فخرج حتى قدمها وهي خراب، فقال في نفسه: سبحان الله .. أمرني الله أن أنزل هذه البلدة وأخبرني أنه عامرها فمتى يعمرها ومتى يحييها الله بعد موتها؟!. فنام ومعه حماره وسلة من طعام وظل نائماً سبعين عاماً، وسخر الله فيما بعد من يعمر بيت المقدس ويبني مسجدها فعمرت. وفتح الله لأرميا عينيه فنظر إلى المدينة كيف تبني وكيف تعمر، ومكث في نومه ذلك حتى تمت له مائة عام. ثم بعثه الله وهو لا يظن أنه نام أكثر من ساعة وقد رأي المدينة وهي خربة فلما نظر إليها بعد ذلك وجدها عامرة آهلة فقال: (أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) وهذا ما جاء في قوله تعالى: (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)(٣).

---

(١) سورة الكهف، الآيات من ١٤ إلى ٢١.

(٢) إسماعيل بن كثير، قصص الأنبياء، مرجع سابق، ص ٥٣٥.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٥٩.

د – مثال من قصة دانيال عليه السلام:

ومن البشر من يموت في زمن ويظل جسده محفوظاً ساخناً وكأنه مات لتوه ليدفن في زمن آخر. مثال ذلك ما حدث لنبي الله دانيال عليه السلام. فقد قال رسول الله ﷺ: "أن دانيال دعا ربه عز وجل أن تدفنه أمة محمد". فلما فتح أبو موسى الأشعري بلدة تستر وجده أحد أتباعه في تابوت تضرب عروقه ووريده فكتب أبو موسى إلى عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، بذلك فأمر عمر بأن يغسل بماء سدر ويكفن ويدفن ويخفي قبره فلا يعلم به أحد. ففعل أبو موسى الأشعري رضي الله عنه ذلك ولم يعلم موضع قبره أحداً غيره[1].

هـ - مثال من حياة المسيح عليه السلام:

ولعل خير دليل على عدم معرفة البشر متى سيموتون ما حدث مع المسيح عيسى بن مريم عليه السلام. إذ أعدت له العدة لقتله وظن الجميع أن ساعته قد حانت إلا أن الله أنجاه ورفعه إلى السماء[2].

فعندما قرر اليهود قتله وصلبه حاصروه في دار ببيت المقدس، فلما حان وقت دخولهم لتنفيذ ذلك ألقى الله شبهه على بعض أصحابه الحاضرين عنده ورفع عيسى إلى السماء وأهل البيت ينظرون، ودخل نفر من اليهود فوجدوا ذلك الشاب الذي ألقي عليه شبهه فأخذوه ظانين أنه نبي الله فصلبوه وفي ذلك قال تعالى: (***وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً* بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً***)[3]

(١) إسماعيل بن كثير، قصص الأنبياء، مرجع سابق، ص ص ٥٣٣، ٥٣٤.

(٢) إسماعيل بن كثير، قصص الأنبياء، مرجع سابق، ص٦١٥

(٣) سورة النساء، الآيتان ١٥٧، ١٥٨.

حكمة إخفاء الله وقت قيام الساعة:

يفهم من تسمية يوم القيامة بالساعة قربه. كما يدل ذلك على أن القيامة تأتي بغتة دون أن يتنبأ بها أحد. لأن الله سبحانه وتعالى أخفى ميقاتها. وتتمثل حكمة الله سبحانه وتعالى في إخفاء وقت قيام الساعة في النقاط التالية:

أ- رحمة الله بعباده[1].

وينطوي إخفاء وقت قيام الساعة على رحمة كبيرة من الرحمن بعباده؛ إذ لا يمكن تصور الرعب الذي يمكن أن يسيطر على العباد وهم ينتظرون أن تزلزل الأرض زلزالها وأن تخرج أثقالها!!، لا يمكن تصور الهلع الذي يكتنف البشر وهم ينتظرون يوم ترجف فيه الراجفة تتبعها الرادفة لا يمكن تصور قلوبهم الواجفة وهي تنتظر من ربها يوماً عبوساً قمطريراً!!.

وكما سبق القول، فإن إخفاء يوم القيامة ينطوي على إخفاء ميعاد وفاة كل نفس. ولقد جعل الله العليم أجل كل نفس في علم الغيب عنده في كتاب مؤجل لا يطلع عليه أحد من عباده، إذ قال سبحانه وتعالى: ***﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾***[2]. وواضح ما في إخفاء أجل كل نفس من رحمة بالعباد، فما أقسى على النفس من انتظار الموت وما أرهب يوم الحساب.

ب- حث العباد على العمل على كسب الرزق باستمرار.

كذلك فإن إخفاء قيام الساعة وأجل الإنسان من شأنه دفع الإنسان للعمل الدءوب لكسب الرزق باستمرار طيلة حياته على أساس أنه لا يعرف متى توافيه المنية. فحتى لو كان الفرد غنياً لتعين عليه أن يعمل ويكد طوال حياته خوفاً من الحاجة والعوز إن طال به المقام في الدنيا.

---

(١) جاء في تفسير القرآن الكريم لعبد الله يوسف على السابق ص ٣٩٧:

"The fact of its coming is a certainty: The exact time appointed for it is not revealed by God. If it were. It would be so momentous as to disturb our thougths and life. It would be a heavey hurden to us. It will come when we least expect it."

(٢) سورة آل عمران، بالآية ١٤٥.

جـ- حث العباد على المسارعة إلى مغفرة من الله.

ولعل أبلغ الحكم في إخفاء قيام الساعة وأجل كل نفس هي حث كل إنسان على الإسراع بالإيمان بالله كي لا يموت كافراً ولكي يكون من غير المغضوب عليهم ولا الضالين. كذلك يتطلب هذا الإخفاء من كل فرد الحرص الشديد وباستمرار على فعل الخيرات وترك المنكرات إذ ما يدريه لعل الساعة قريب فيموت مغضوباً عليه أو يتوب إذا حضره الموت فلا تقبل توبته وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى: (***وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا***)[1]، كذلك قال تعالى: (***إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ***)[2].

وخلاصة القول أن إخفاء الله سبحانه وتعالى وقت قيام الساعة وأجل كل نفس يتيح للإنسان المسلم أن يعمل لدنياه كأنه يعيش أبداً فيكد ويكدح ليحقق لنفسه مكانة مرموقة فيها. وأن يعمل لآخرته كأنه يموت غداً فيسلك سلوكاً قويماً فيفوز بحسن ثوابها. وهذا ما حث عليه الحديث النبوي الشريف الذي يقول فيه رسول الله ﷺ "اعمل عمل امرئ يظن أن لن يموت أبداً، وأحذر حذر امرئ يخشى أن يموت غداً"[3].

توقعات فاشلة ونبوءات كاذبة عن موعد قيام الساعة:

وعلى مر العصور والأزمان حدثت كثير من التوقعات الفاشلة والنبوءات الكاذبة عن موعد قيام الساعة، فعلى سبيل المثال[4] يزور مذنب هالي مجموعتنا الشمسية مرة كل ٧٦ عاماً وهذا المُذنَّب عبارة عن تكوين صخري كبير يجري

---

(١) سورة النساء، الآية ١٨.

(٢) سورة طه، الآية ١٥.

(٣) رواه البيهقي عن عبد الله بن عمرو، ورمز له السيوطي بالضعف. انظر/ محمد عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، الجزء الثاني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، عام ١٩٧٢، ص ١٢.

(٤) من كتاب الكون والنظام الدائري، ص ١٥٠.

في الفضاء بسرعة مذهلة جاذباً خلفه النفايات الفضائية من صخور ونيازك وشهب وكويكبات صغيرة التي قد تنفصل عن الكواكب والنجوم، للمحافظة على الفضاء نظيفاً خالياً من هذه النفايات فلا تصطدم بأي من الكواكب المأهولة كالأرض مثلاً فتسبب كارثة مدمرة له.

وهذا رحمة من الله وحفظاً لمخلوقاته. ويجذب المذنب هذه النفايات خلفه فتكون على هيئة ذنب كبير. ولا يعرف عن هذا المذنب شئ يذكر حتى الآن، فلا يعرف من أين يأتي وإلى أين يذهب. وهو يمثل آية من آيات الله العظيمة الكثيرة في هذا الكون لذا فيعتقد أن هذه المذنبات هي المقصودة بقوله تعالى: (***فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ* الْجَوَارِ الْكُنَّسِ***)(*). فالمقصود بالخنس المخلوق الذي يختفي فلا يعرف مكانه ثم يظهر فجأة. فالأسد مثلاً يظهر فجأة في الغابة فلا أحد من الحيوانات يعرف أين كان ومن أين أتى، إذا كان خانساً أي كان مختبئاً كامناً في مكان غير معروف بالغابة. والمقصود بالجوار تلك المخلوقات التي تجري ومنها بالطبع المذنبات، إذ تجري في الفضاء، والمقصود بالكُنَّس تلك الأشياء التي تكنس وتجمع النفايات وهو ما تقوم به المذنبات في الفضاء، إذ تقوم بكنسه وتنظيفه باستمرار. وقسم الله تعالى بهذه المخلوقات يؤكد عظمة تكوينها وأهمية دورها في ملكوت الله.

وحدث في أحد زيارات هذا المذنب للأرض أن كان العلماء اليابانيون يراقبون هذا المذنب وهو يقترب من الأرض بعد أن دخل مجال رصد أجهزتهم وأخذ المذنب يقترب من الأرض شيئاً فشيئا بسرعة مذهلة حتى وصل إلى بعد أقل من دقيقة واحدة من الأرض وأصبح اصطدامه بها أمراً محتوماً، فألقى العلماء اليابانيون بأنفسهم على أرض المرصد منتظرين الثواني الأخيرة لنهاية العالم. ومرت الثواني والدقائق ولم يحدث شئ فقام العلماء بعد ذلك متعجبين

(*) سورة التكوير، الآيتان ١٥، ١٦.

وأخذوا ينظرون في التليسكوب ثانية، ففوجئوا بأن المذنب قد انحرف عن الأرض وأخذ يسير في الاتجاه المضاد عائداً من حيث أتى ولم يصطدم بالأرض ولم تكن نهاية العالم ولم تقم الساعة!!!.

وفي آخر زيارة لهذا المذنب إلى الأرض عام ١٩٩٧، حاول علماء وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) دراسة هذا المذنب وكشف أسراره. فأرسلوا مكوكاً فضائياً أسموه Chalenger أي (المتحدي) وكان الهدف من إطلاقه هو وضع تليسكوب فضائي بالقرب من خط سير المذنب ليلتقطه المذنب بقوة جاذبيته فيسير خلفه ويذهب معه إلى حيث يذهب ويرسل صوراً فضائية لكل أنشطته وخط سيره وتصوير أماكن زياراته ولمعرفة ما إذا كان مجاله هو داخل مجموعتنا الشمسية فقط، أم يخرج خارجها إلى مجموعات شمسية أخرى بمجرتنا (درب اللبانة) أو حتى يخرج خارج هذه المجرة إلى مجرات أخرى. ومن العجيب أن هذا المتحدي انفجر بعد ثوان من إطلاقه على الرغم من نجاحه في الرحلات الفضائية السابقة. ولم يكن هناك أي تفسير لذلك سوى أن الله تعالى لم يأذن بعد لمعرفة شئ عن هذا المذنب !! هذا المذنب الذي ظن العلماء أنه سيصطدم بالأرض ليحطمها وتكون نهاية العالم، لم يصطدم بالأرض على الرغم من اقترابه منها إلى بُعْد أقل من دقيقة وعكس اتجاه مساره وقفل عائداً ولا يزال أهل الأرض لا يعرفون شيئاً يذكر عنه حتى الآن.

ويتردد منذ حوالي أربع سنوات بين العلماء الأمريكيين والألمان والصينيين واليابانيين وغيرهم أن نيزكاً قادم من الفضاء أطلق عليه XF II 1997 يتجه نحو الأرض ليصلها في يوم السادس والعشرين من أكتوبر عام ٢٠٢٨م حسب الحسابات الفيزيائية والفلكية حيث يصطدم بها بسرعة خمسة وعشرين ألف كيلو متر في الساعة مخلفاً قوة انفجار تعادل مليوني مرة قوة قنبلة هيروشيما، وبضغط انفجاري قدرة ثلاثمائة وعشرين ألف ميجاطن. وهذا المذنب عبارة عن حجر فضائي ضخم يبلغ محيطه حوالي ١,٦ كيلو متر. ويعتقد بعض

العلماء أن كوكب الأرض سيتفادى الاصطدام به نتيجة انحراف زاوية مسار النيزك حال دخوله مجالها. إلا أن معظم العلماء يقررون أن احتمالات الاصطدام كبيرة وتفوق كثيراً احتمالات عدم الاصطدام، إلا أنه غير معروف حتى الآن مكان اصطدام هذا النيزك بالأرض.

والاحتمال الأول لمكان اصطدام هذا النيزك هو السقوط في أحد البحار أو المحيطات، مما ينجم عنه انطلاق موجه من المياه بارتفاع ثلاثين متراً على الأقل وباندفاع بسرعة سبعمائة كيلو متر في الساعة لتجرف كل ما في طريقها مغرقة مدناً بكاملها، ربما يكون من بينها مدن هامبورج وأمستردام ونيويورك وغيرها. ونتيجة لاصطدام النيزك بجو الأرض يحدث في النيزك نفسه تفجيرات وتنطلق منه الشظايا الملتهبة والتي ستحيل الغابات والأدغال على سطح الأرض إلى كتل من الفحم، مما يحدث دخاناً كثيفاً يصيب الأرض بالإظلام لحقبة طويلة من الزمن، حيث تحجب الأرض تماماً عن الشمس مما ينجم عنه فناء كل ما هو حي على أرضها.

والاحتمال الثاني لمكان اصطدام هذا النيزك هو اصطدامه بالأرض المأهولة وليس بأي من البحار أو المحيطات مما ينجم عنه ارتفاع شديد جداً في درجة حرارة الأرض نتيجة للحرائق المتعددة التي ستنجم عنها مما سينجم عنها قوة ضغط هائلة لا تبقي على شئ مع نشوء سحب من الأبخرة والغازات والغبار والتي ستحجب ضوء الشمس عن الأرض لفترة طويلة كذلك مما يؤدي إلى بداية حقبة جليدية جديدة.

ويؤكد علماء الجيولوجيا والفيزياء والفلك أن بعض النيازك الجبارة قد اصطدمت بالأرض من قبل. فقد حدث منذ خمسة وستين مليون عام أن اصطدم نيزكاً عملاقاً بلغ محيطه حوالي ٩,٦ كيلو متر بشبه جزيرة يوكاتان في خليج المكسيك مما نجم عنه إظلام تام شمل الأرض جميعها، كما أدى إلى تغيرات خطيرة في الجو أدت إلى فناء معظم الكائنات الحية آنذاك.

ووفقاً للمعطيات العلمية الحديثة، ونتيجة لتوافر تكنولوجيا الفضاء المتقدمة يؤكد علماء الفيزياء النووية الأمريكيون أن قصف هذا النيزك القادم إلى الأرض بقنبلة نووية أو أكثر من سفينة فضاء سيؤدي إلى إبطاء سرعة انطلاقه نحو الأرض، بل ربما لا يصل هذا المذنب نتيجة لذلك إلى مجال الأرض أصلاً إذا تكررت عملية القصف النووي هذه قبل اقترابه من كوكب الأرض بوقت كاف(١).

ولقد بدأ البعض يفسر النصوص الدينية الواردة في التوراة والإنجيل حول نهاية العالم على نحو يتوافق مع النتائج العلمية المتعلقة بوصول هذا النيزك إلى الأرض. أكثر من ذلك فقد بدأ معتنقو بعض الأديان والملل والنحل يعدون أنفسهم لذلك اليوم معتقدين أنه يوم القيامة. كذلك بدأت وسائل الإعلام تربط بين ما جاء به العلماء ورجال الدين وما ذكره بعض المنجمين منذ فترات طويلة.

ولقد عبر أحد النيازك العملاقة توتاتيس الأرض يوم ٢٩ سبتمبر عام ٢٠٠٤م بسلام وكان ذلك على بعد مليون ونصف المليون كيلومتر منها. ويعتبر ذلك الحدث واحداً من أبرز الظواهر الفلكية منذ بداية القرن إذ توقع بعض العلماء أن يصطدم هذا النيزك الذي يبلغ طوله ٤,٦ كيلومتر وعرضه ٢,٤ كيلومتر بالأرض ليدمرها ويحدث فناءً كاملاً للبشرية إلا أن الله القادر المهيمن حمى الأرض وسكانها منه(٢).

وعلى أية حال ووفقاً لمنطلقاتنا الإيمانية فنحن على ثقة بأن أحداً من العباد لا يمكنه التنبؤ بعلم الساعة مهما امتلك من أسباب التقدم العلمي ولننتظر لنرى.

---

(١) جريدة الأهرام، السنة ١٢٩، العدد ٤٣٠٠٣، ١٦ رجب عام ١٤٢٥هـ: ٤ سبتمبر عام ٢٠٠٤م.

(٢) جريدة الأهرام، السنة ١٢٩، العدد ٤٣٠٣٢، ١٦ شعبان عام ١٤٢٥هـ: ٣٠ سبتمبر عام ٢٠٠٤م.

وبالنسبة لعلم الساعة لم يحاول الإنسان بمختلف معتقداته الدينية إجـــراء أية بحوث أو دراسات لكشف أسراره وذلك لعاملين رئيســيين، أولهمـــا العجــز البشري الكلي عن مجرد المحاولة الجادة مهما بلغ التقدم العلمي للبشر وذلك على أساس أن عناصر هذا الغيب وعلاماته ليست في يد البشر وإن كان البشـــر أداة فيها. وثاني هذه الأسباب هي أن الساعة ليست مـــن الأمـــور المحببـــة للبشـــر فيحرصون على الإحاطة بميقاتها؛ بل يكفي ذكر أهوال يوم القيامة حتى يهـــرب معظم الناس من الخوض فيها فينسون يومها أو يتناسونه!!.

ومع ذلك يحدث بين وقت وآخر أن يقدم بعض المنجمين Astrologers بعض التنبؤات Prophecies على أساس أن نجماً ما سيصطدم بكوكب الأرض في يوم ما أو أن مذنباً ما سيدخل مدار نجم ما في يـــوم معـــين وتمـــر الأيـــام والسنوات ولا يحدث شيء. وحقيقة الأمر فإن تنبؤات هؤلاء الفلكيين ما هي إلا هُراء يستهدفون من ورائه كسب الشهرة وجلب المال وهم قبل غيرهم متأكـــدون من عدم صحتها!! وهم كذلك مع غيرهم متأكدون من استحالة كشف هذا الغيب.

إنزال الغيث

Sending Down The Rain

وثاني الأمور الغيبية التي احتفظ بها الله سبحانه وتعالى لذاته العلية وأخفاها عن البشر هي القدرة على إنزال الغيث ويقصد بالغيث المطر وسمي غيثاً لأن به تغاث البلاد والعباد. وتعتبر قدرة الله عز وجل وحده على إنزال المطر من أكبر ما يربط العبد بربه. إذ أن الله سبحانه وتعالى جعل من الماء كل شئ حي. فبدون الماء يهلك الحرث والنسل، إذ تموت الأرض ومن عليها وما عليها. وفي ذلك قال الله سبحانه وتعالى: (*وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ*)(١).

مفهوم الغيب في إنزال الغيث.

(*إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ*)(٢) بتأمل ما جاء بالقرآن الكريم بشأن الغيث سواء ما ورد في سورة لقمان أو ما ورد في الآية السابقة من سورة الروم أو غيرهما يتبين أن وجه الغيب يتمثل في إنزال الغيث نفسه وليس في علم إنزال الغيث. أي أن الغيب يتمثل في استطاعة إنزال الغيث وليس في علم ميعاد نزوله أو كيفية نزوله. ويتبين هذا المفهوم بوضوح من سورة لقمان، إذ قال الله سبحانه وتعالى (*وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ*) ولم يذكر سبحانه شيئاً عن علم نزوله وذلك على غير الحال بالنسبة للساعة، إذ قال تعالى في نفس الآية: (*إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ*) أي أن الغيب هنا هو علم متى

---

(١) سورة الروم، الآية ٢٤.

(٢) سورة لقمان، الآية ٣٤.

تقوم الساعة. كذلك الحال بالنسبة لعلم ما في الأرحام إذ قال تعالى في نفس الآية أيضاً ***﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾*** وواضح أن الغيب في هذا الشأن يتمثل في العلم نفسه أي علم ما هو موجود في الأرحام، وذلك على غير الحال في غيب نزول المطر، والمقصود به استطاعة النزول نفسها وليس علم هذا النزول. وهذا الاستنتاج بالنسبة لوجه الغيب في الغيث يمكن استنتاجه من جميع الآيات الواردة بالقرآن الكريم المتعلقة بالغيث أو بنزول الماء أو ما شابه ذلك وعددها كثير.

ونظراً لأن العلم بنزول الغيث ليس هو المقصود بالغيب في الغيث وإنما يعتبر بتفصيلاته المختلفة علامات لهذا الغيب، كان طبيعياً أن يشير الله سبحانه وتعالى في مواضع مختلفة بالقرآن الكريم عن هذه العلامات مساعدة منه سبحانه وتعالى لعباده على الدراسة والتعرف على كيفية ومواعيد نزول الغيث ومكان نزوله كي يتمكنوا من تدبير شئون أمورهم من شرب وزراعة ورعي وغيرها[1]. فقال عز من قائل: ***(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ)***[2].

---

(١) جاء في تفسير معاني القرآن الكريم لعبد الله يوسف علي من مطبوعات رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية بدولة قطر ص١٠٨٩:

"As regards rain we are asked to contemplate how and when it is send down. The moisture may be sucked up by the sun's heat in The Arabian Sea or The Red Sea or the Indian Ocean near Africa, or in the Lake Region in Central Africa. The winds drive it hither and hither across thousands of miles, or it may be only short distance. The wind blowth where it Listeth'. No dout it obeys certain physical laws established by God, but how these lows are interlocked, one with another. Meteorology, gravity, hydrostatics and dynamic, climatology hygrometry, and a dozen other sciences are involved, and no man can completely master all of them, and yet this relates to only one of the millions of facts in physical nature, which are governed by God's knowledge and law".

(٢) سورة النور، بالآية ٤٣.

وتوضح هذه الآية مراحل تكوين الغيث فإذا ما راقبها الإنسان يمكنه توقع نزوله بين وقت وآخر وتحديد مكان نزوله إلى حد كبير. كذلك قال الله سبحانه وتعالى: (*وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ*)(١). وتوضح هذه الآية العلاقة المباشرة بين الرياح وبين زمان ومكان نزول الغيث. ومن المؤكد أن آيات القرآن الكريم الكثيرة حول الغيث ونزول الماء كانت وستكون ضوءاً قوياً أمام الباحثين في العلوم الكونية لمعرفة ميعاد ومكان نزول الأمطار بإذن الله لصالح البشر.

كذلك ومن منطلق المفهوم الصحيح لوجه الغيب في الغيث، فليس من المستغرب بحال من الأحوال أن يتوصل الإنسان في العصر الحالي إلى معرفة الكثير من مواقيت الغيث، حيث تتوافر في الأفق ظروف طبيعية خاصة يحدث من جرائها اتحاد مجموعات من ذرات الأيدروجين بمجموعات أخرى من ذرات الأكسوجين (اتحاد ذرتين من الأيدروجين مع ذرة واحدة من الأكسوجين) فيتكون الماء. وعلى العموم فقد أصبح طبيعياً الآن أن تخصص فقرة في نشرات الأخبار وفي الصحف والمجلات تتعلق بالأحوال المتوقعة للطقس خلال ساعات تالية، وهذا من أوجه رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده.

وبالنظر إلى جوهر الغيب في الغيث يتبين كما سبق القول أنه يتمثل في استطاعة إنزال الغيث كما سبق إيضاحه، يدل على ذلك قوله تعالى: (*أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ* * *أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ*)(٢).

وواضح أن الله عز وجل اختص ذاته العلية بإنزال المطر ولم يترك ذلك لعباده وذلك لحِكَمٍ كثيرة قصدها الله سبحانه وتعالى لصالح عباده.

---

(١) سورة الأعراف، بالآية ٥٧.

(٢) سورة الواقعة، الآيتان ٦٨، ٦٩.

كذلك يدل على اختصاصه سبحانه وتعالى بإنزال المطر قوله عز وجل: (*قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ*)[1]، إذ يوضح سبحانه وتعالى أنه وحده الذي يأتي بالماء في الآبار والعيون والتي مصدرها ماء المطر. وهذا ما يدل عليه قوله عز وجل: (*أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ*)[2]. ويتبين من بين المعاني العديدة التي تتضمنها هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى ينزل المطر من السماء فتسيل له الأودية كبيرها وصغيرها وتحتفظ الأرض منه بما ينفع الناس وذلك على هيئة مياه جوفية تمد الإنسان بما يحتاجه لشربه ولرعي مواشيه وللسقيا والزرع من خلال الآبار والعيون. ونفس المعنى أكد عليه الحديث الشريف في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري ﷺ عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكان منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير. وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا ورعوا وسقوا وزرعوا.."[3]. وواضح من هذا الحديث الشريف أن مياه الأمطار هي مصدر المياه في باطن الأرض.

وحقيقة الأمر فإن أحداً من البشر لم يدع لنفسه القدرة على إنزال المطر. بل إن المشركين أنفسهم يعترفون بأن الله هو وحده منزل الماء من السماء، وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى: (*وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ*

---

(١) سورة الملك، الآية ٣٠.

(٢) سورة الرعد، الآية ١٧.

(٣) إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص ٥١٠.

الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ)(*)، وواضح من هذه الآية الكريمة اعتراف المشركين بأن الله سبحانه هو المتفرد بإنزال الماء من السماء وهو سبحانه المتفرد بتدبيرها.

وفي السنوات الأخيرة جرت محاولات إسقاط ماء من السماء عرفت بالمطر الصناعي Artificial Rain وذلك بقيام طائرات تسير بين السحب المحملة ببخار الماء برش مادة تحتوي على خليط من غاز البروبين ويود الفضة كعامل مساعد لاتحاد ذرات الهيدروجين بذرات الأكسوجين، ولقد كان طبيعياً أن تبوء جميع هذه المحاولات بالفشل!!.

ولو افترضنا جدلاً أن الإنسان تمكن من إسقاط مطر صناعي على نحو ما يحاول فهل يعتبر ذلك إنزالاً للغيث؟ بالطبع لا؛ إذ أن هذا الإسقاط للمطر ليس إلا تحصيل حاصل.. حقيقة الأمر أن عملية إنزال الغيث أكبر بكثير من جهد البشر وطاقاته. فعملية إنزال المطر تتمثل في ثلاث خطوات لابد من حدوثها جميعاً لكي يتم الإنزال، فهل يمكن للإنسان إحداثها؟!!. ولبيان ذلك نوضح فيما يلي هذه الخطوات:

أ) شروق الشمس وسطوعها على أي من المحيطات والبحار والأنهار وسائر المسطحات المائية في مكان ما على سطح الكرة الأرضية.

ب) تبخر بعض هذه المياه بفعل أشعة الشمس وتصاعد أبخرتها إلى السماء لتكوين السحب.

ج) تسخير الرياح لتسيير هذه السحب من مكان إلى آخر فتصطدم ببعضها البعض وبقمم الجبال الباردة فيسقط ما تحمله من ماء على هيئة أمطار.

(*) سورة العنكبوت، الآية ٦٣.

ويتبين من الخطوات الثلاث السابقة أن جميعها تتم بقدرة الله وفضله ولا دخل للإنسان فيها إذ أنها خارجة عن نطاق قدرته. فمن من البشر يمكنه التحكم في إشراق الشمس على مكان ما من سطح الكرة الأرضية دون غيره خلافاً لنظام الله في كونه البديع المحكم؟!! ومن من هؤلاء البشر يمكنه إحداث بخر لمياه المحيطات والبحار والأنهار لإحداث السحب؟!. وأخيراً مَنْ غير الله القادر يمكنه تسخير الرياح لتسيير السحب من مكان إلى آخر لتصطدم ببعضها البعض وبالجبال لتسقط الأمطار؟!!.

واضح أن الإجابة على هذه الأسئلة الثلاثة هي أن أحداً من البشر لا يملك أن يفعل شيئاً حيال هذه الخطوات الضرورية لإنزال الغيث. وعلى ذلك ولو سلمنا جدلاً بإمكانية أن يستخدم الإنسان بعض الطرق الكيماوية لإسقاط بعض الماء من السحب الحبلى به فلا يعتبر ذلك إنزالاً للغيث على الإطلاق. إذ أن هذه العملية تشتمل على عدة خطوات تعتبر كلاً لا يتجزأ. وكل ما هنالك أن الإنسان في هذه الحالة يحاول إسقاط المطر الذي كونه الله بالفعل. إن مثل هذه العملية لا تعدو أن تكون بمثابة مساعدة طبيبة التوليد لسيدة حامل على وضع وليدها الذي خلقه الله في أحشائها. فإذا كانت هذه الطبيبة لا يمكنها الإدعاء بخلق هذا الجنين، فلا يمكن كذلك لأي إنسان أن يدعي إنزال المطر لمجرد أنه ساعد على سقوط الماء من السحاب وذلك لو افترضنا جدلاً إمكانية تحقيق ذلك مستقبلاً.

حكمة تفرد الله بإنزال الغيث:

وتتجلى حكمة الله الحكيم في التفرد دون خلقه بإنزال الغيث في عدة نقاط هي:

أ – حسن تدبير شئون الكون.

يعتبر إنزال الغيث من الأمور بالغة الأهمية في النظام الكوني، ومن ثم كان لزاماً حسن تدبيره لضمان حسن تدبير شئون الكون. ولما كان الله سبحانه

وتعالى وحده القادر على تدبير شئون الكون لما له من علم بكل شيء من أموره وأحواله، كان وحده سبحانه وتعالى الذي يعلم علم اليقين كل ما يصلحه من أمور سواء منها ما تعلق بإنزال الغيث أو ما تعلق بغيره.

ولأهمية التوازن الدقيق بين العناصر والعوامل المختلفة في الكون خلق الله العليم كل شيء بقدر، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿*إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ*﴾[1] كما قال عز من قائل: ﴿*وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ*﴾[2]. فإنزال الغيث يجب أن يكون بقدر معلوم وفي وقت معلوم وفي مكان معلوم لكي لا يختل النظام الكوني الدقيق وفي ذلك قال تعالى: ﴿*وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ*﴾[3]. كذلك قال تعالى في نفس المعنى: ﴿*وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ*﴾[4].

فإنزال الغيث بقدر معين قد يترتب عليه فيضانات لأودية مختلفة وجريان الأنهار في مناطق معينة. كذلك فإن عدم نزول المطر يترتب عليه جفاف في مناطق أخرى يهلك فيها الحرث والنسل. كما أن نزول الغيث يؤثر بلا شك على مستوى الماء الأرضي الذي يؤثر بدوره على الزراعة والرعي بالمناطق المختلفة. أضف إلى ذلك أن إنزال الغيث يلعب دوراً مهما في مستويات درجات الحرارة والرطوبة في مناطق العالم المختلفة. ويؤدي نزول الغيث بدرجات متفاوتة في شتى بقاع الأرض، بالإضافة إلى بقية العوامل الأخرى، إلى نمو نباتات مختلفة سواء كانت غابات كثيفة، أو حشائش طويلة تصلح لرعي قطعان

---

(١) سورة القمر، الآية ٤٩.

(٢) سورة الحجر، الآية ٢١.

(٣) سورة المؤمنون، بالآية ١٨.

(٤) سورة الزخرف، الآية ١١.

الأبقار، أو حشائش متوسطة تصلح لرعي قطعان الإبل، أو حشائش صغيرة تصلح لرعي قطعان الضأن والماعز.

وواضح أن تدبر كل هذه الأمور في آن واحد يفوق كثيراً قدرة البشر، ومن ثم فإن الإنزال العشوائي للغيث أو الإنزال الجزئي له أو إنزاله بمراعاة صالح منطقة ما دون النظرة الشاملة للكون ربما يكون له مردود سلبي خطير على سائر أنحاء هذا الكون إما عاجلاً أو آجلاً. ومن ثم كان ضرورياً أن ينفرد الله العليم الحكيم وحده دون خلقه بإنزال الغيث ضماناً لحسن تدبير شئون ملكوته.

بـ رحمة الله بجميع مخلوقاته.

وتتجلى رحمة الله الرحمن الرحيم بجميع مخلوقاته في تفرده عز وجل دون أحد من خلقه بإنزال الغيث. فالماء من أهم المواد التي خلقها الله عز وجل للبشر ولغيره من الكائنات؛ إذ أنه من أهم أسباب الحياة في هذا الكون ولقد صدق الله الخالق إذ قال: ***(وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ)***(١). أي أن جميع الكائنات لا يمكنها الحياة بدونه. فلو منح الله قدرة إنزال الغيث لأحد من عباده لتحكم في حياة البشر، تارة يُنزل الغيث فيشربون ويعصرون وأخرى يمنع الغيث فيظمأون ويَضْحُون. فمن يملك المنح يملك المنع. ولو حدث ذلك لصارت أرزاق العباد بيد أحد منهم وهذا يتعارض مع المشيئة الإلهية التي تكفلت برزق جميع المخلوقات. فالله وحده سبحانه هو الرزاق ذو القوة المتين إذ يقول في محكم آياته: ***(وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)***(٢)، ومن ثم فلابد من أن يتكفل الله وحده بإنزال الغيث ليضمن أرزاق الناس على نحو ما أراد، لأن إنزال الغيث يرتبط ارتباطاً وثيقاً برزق جميع الكائنات وليس أدل على ذلك من أن الله عز

---

(١) سورة الأنبياء، بالآية ٣٠.

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٦٠.

وجل أطلق على الغيث في بعض الأحيان اسم الرزق وهذا واضح من قوله تعالى: (*وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها*)(١).

كذلك لو فرض جدلاً أن من منحه الله قدرة إنزال الغيث من البشر سيكون رحيماً بإخوانه البشر، فهل سيكون رحيماً كذلك بسائر المخلوقات ما يراه نافعاً منها وما يراه ضاراً؟ .. هل سيكون هذا الإنسان رحيماً بالوحوش في البرية مثلاً؟ .. أم يتعين على الله سبحانه وتعالى أن يعطي جميع خلقه من بشر وغيرهم قدرة إنزال الغيث ليختل ميزان الكون على نحو ما سبق بيانه؟!!.

ولعل مما سبق يتبين حكمة الله الحكيم في عدم منح خلقه القدرة على إنزال الغيث وعدم اتباع أهوائهم فيفسد كل شيء، ولم لا وقد قال الله سبحانه وتعالى:(*ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن*)(٢).

ج- تقوية الإيمان بالله والحث على طاعته.

وحقيقة فإن تفرد الله سبحانه وتعالى وحده دون عباده بالقدرة على إنزال الغيث من شأنه تقوية الإيمان بالله عز وجل وحث البشر على طاعته. فإذا كان البشر على ثقة من أن الله سبحانه وتعالى هو وحده القادر على إنزال الغيث قويت الصلة بينهم وبين ربهم الوهاب وهذا يدفعهم بلا شك إلى طاعة أوامره واجتناب نواهيه وذلك لأن طاعة العباد لربهم هي السبب المباشر لنزول الغيث. ولقد أوضح الله سبحانه وتعالى العلاقة بين طاعة عباده له عز وجل وبين نزول الغيث بقوله تعالى: (*وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا*)(٣)، ويتضح من هذه الآية الكريمة أن استقامة

---

(١) سورة الجاثية، بالآية ٥.

(٢) سورة المؤمنون، بالآية ٧١.

(٣) سورة الجن، الآية ١٦.

البشر وطاعة الله سبحانه وتعالى هي أساس نزول المطر وتوفر الماء بالقدر الكافي لمتطلباتهم.

ومن منطلق الإيمان بقدرة الله المغيث وحده على إنزال الغيث، كان طبيعياً أن يلوذ المسلمون بالدعاء لربهم الرحمن لينزل عليهم المطر حماية لهم ولمواشيهم وزرعهم من الهلاك إذا أمسك الغيث ومنعه النزول. ولقد ورد في صحيح البخاري أن أبا عبد الله قال: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن شريك عن أنس أن رجلاً دخل المسجد ورسول الله ﷺ قائم يخطب فقال: "هلكت الأموال وانقطعت السبُل، فادع الله يغثنا، فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال (اللهُم أغثنا). قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار. قال فطلعت من ورائه سحابة، ثم أمطرت، فما رأينا الشمس ستا.."(*) وواضح من هذا الحديث الشريف أن الرسول الكريم ﷺ قد سن للمسلمين دعاء ربهم للاستسقاء، وهذا في حد ذاته نوع من العبادة، إذ أن الدعاء هو مخ العبادة، لأن من يدعو الله عز وجل لابد وأن يكون مؤمناً به.

كذلك ومن نفس المنطلق السابق المتعلق بقدرة الله سبحانه وتعالى وحده على إنزال الغيث فقد لجأ المسلمون إلى الصلاة لربهم بغية الاستسقاء وهذه من أقوى الصلات بين العباد وربهم. فقد سن رسول الله ﷺ للمسلمين صلاة الاستسقاء تقرباً إلى الله الكريم وطلباً للغوث بالغيث. فقد ورد في صحيح البخاري أن أبا عبد الله قال: "حدثنا آدم قال: حدثنا ابن أبي ذئب

(*) ابن سليمان حمد بن محمد الخطابي، أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، تحقيق ودراسة الدكتور/ محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مركز إحياء التراث الإسلامي، من التراث الإسلامي، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٩هـ : ١٩٨٨م، الجزء الأول، كتاب الاستسقاء، ص ٦٠٢.

عن الزهري عن عباد بن تميم عن عمه، قال: رأيت النبي ﷺ يوم خرج يستسقى قال: فحول إلى الناس ظهره واستقبل القبلة يدعو، ثم حول رداءه، ثم صلى لنا ركعتين جهر فيهما بالقراءة[1].

وواضح من الحديث الشريف السابق أن تقرب العباد إلى ربهم سبحانه بالصلاة من شأنه كسب *رضي الله عنهم* وإنزال الغيث عليهم بعد أن أشرفوا على الهلاك وفي ذلك يقول الله تعالى: *(وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ)*[2].

كذلك فإذا ما أكرم الله الكريم عباده بإنزال الغيث وجب عليهم جميعاً شكره، فبالشكر تدوم النعم. وشكر الله يتمثل في حبه وتعميق الإيمان به وبقدرته والامتنان لذاته العلية وطاعته وللتدليل على ضرورة شكر العباد ربهم على نعمة نزول الغيث يقول الله عز وجل: *(أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ* أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ* لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ)*[3].

ومن ناحية أخرى، فإنه مما يعمق الإيمان بالله سبحانه وبقدرته ويحث على طاعته ما ينطوي عليه تفرده عز وجل بإنزال الغيث من إعجاز علمي كبير. إذ أن فشل الإنسان في إنزال الغيث على الرغم من تقدم علمه ودقة أجهزته يجعله يؤمن بأن للكون إلهاً قادراً حكيماً يصرف أموره بمعايير محسوبة يفوق علمه على كل علم وتعلو قدرته على كل قدرة. ومن ثم على بني البشر

---

(١) ابن سليمان حمد بن محمد الخطابي، أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، تحقيق ودراسة الدكتور/ محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، مرجع سابق، كتاب الاستسقاء، ص ٦١٩.

(٢) سورة الشورى، الآية ٢٨.

(٣) سورة الواقعة، الآيات من ٦٨ إلى ٧٠.

الإيمان برب هذا الكون وطاعته بإتيان ما أمر به سبحانه والانتهاء عما نهى عنه.

د- الخوف من عقاب الله في الدنيا.

ويتضمن تفرد الله سبحانه وتعالى بالقدرة على إنزال الغيث حكمة أخرى بالغة تتمثل في خوف البشر من عقاب الله الجبار لهم في الحياة الدنيا. فقد يستخدم الله سبحانه وتعالى إنزال الغيث لمعاقبة الكفار والمنافقين وبعض الأقوام الذين ابتعدوا عن منهج الله. ومما يدلل على ذلك ما ضربه الله تعالى من مثال في سورة البقرة لنوع معين من المنافقين يظهر لهم الحق تارة ويشكون تارة أخرى. إذ قال سبحانه وتعالى: ***(أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ* يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)***(١). ويوضح هذا المثال من بين ما يوضح من معان أن ما ينطوي عليه المطر أحياناً من ظلمات ورعد وبرق يسبب الخوف والرعب لدى الكافرين لتوقعهم الموت أو ذهاب أسماعهم وأبصارهم كعقاب من الله سبحانه وتعالى لهم على كفرهم ونفاقهم. كذلك يوضح الله سبحانه وتعالى نفس المعنى بقوله تعالى: ***(هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ* وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ)***(٢) كذلك يقول عز من قائل: ***(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ***

---

(١) سورة البقرة، الآيتان ١٩، ٢٠.

(٢) سورة الرعد، الآيتان ١٢، ١٣.

سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ) [1]. كذلك قال تعالى: (***وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)*** [2]. وتوضح الآيات الكريمة السابقة أن تفرد الله سبحانه وتعالى بقدرة إنزال الغيث ينطوي على قدرته وحده على عقاب وإخافة الكافرين والمنافقين والمبتعدين عن منهجه القويم بهذا الإنزال، وفي ذلك يقول الله عز وجل: (***وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا)*** [3].

كذلك يستخدم الله سبحانه وتعالى إنزال الغيث لمعاقبة المخالفين لمنهجه القويم بالإغراق، يدل على ذلك ما حدث لقوم نوح، إذ أغرقهم الله سبحانه وتعالى بإنزال المطر الشديد من السماء وبتفجير الأرض عيوناً فغرق الكافرون من قومه ونجا من كان معه من المؤمنين بحملهم في سفينته. وفي ذلك قال الله سبحانه وتعالى: (***فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ* وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ* وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ* تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ)*** [4].

يتضح مما سبق أن تفرد الله سبحانه وتعالى بالقدرة على إنزال الغيث له حكم بالغة من بينها حمايته عز وجل لعباده من قتل وترويع بعضهم لبعض إذا تملكوا القدرة على إنزال الغيث.

ويتأكد مما سبق أن ذهبنا إليه من حماية الله سبحانه وتعالى لعباده من القتل أو الترويع بتفرده بالقدرة على إنزال الغيث بالمقارنة بين إنزال الغيث وإشعال النار. ففي الوقت الذي يستخدم فيه الله سبحانه وتعالى إنزال الغيث كأداة للعقاب في الحياة

---

(١) سورة النور، بالآية ٤٣.

(٢) سورة الروم، الآية ٢٤.

(٣) سورة الإسراء، بالآية ٥٩.

(٤) سورة القمر، الآيات من ١١ إلى ١٤.

الدنيا أحياناً يستخدم الحق جل وعلا النار للعقاب في الآخرة، لذا فقد تباينت قدرة الإنسان بالنسبة لكل منهما. ففي الوقت الذي لا يقوى فيه الإنسان على إنزال المطر يمكنه إشعال النار. فكما سبق الإشارة إليه يمكن للإنسان أن يغرق مدناً أو دولاً بأكملها لو تملك القدرة على إنزال المطر بينما لا يمكن للبشر استخدام النار كوسيلة للعقاب في الحياة الدنيا إلا في أضيق الحدود. وإذا حدث واستخدم الإنسان النار للحرق والتدمير فيمكن لغيره من البشر في هذه الحالة مقاومتها والحد من مضارها بإخمادها. إلا أن البشر لا يملكون شيئاً حيال ماء منهمر ليل نهار يحدث فيضانات تقتل الإنسان وتدمر المنازل والممتلكات وتهلك الزرع والضرع. ومما يدل على أن الله سبحانه وتعالى لم يشأ أن ينفرد وحده بإشعال النار قوله جل وعلا في كتابه الكريم: (*أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ* أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ*)(*)، وواضح من هاتين الآيتين الكريمتين أن الله سبحانه وتعالى قد خلق النار بإنشاء شجرتها، وبعد ذلك ترك لعباده استخدامها وقت أن يشاءوا، ولم ينفرد سبحانه وتعالى بالقدرة على إشعالها وذلك لحكم كثيرة من بينها أن النار لم يجعلها الله لعقاب البشر في الحياة الدنيا وإنما جعلها لعقابهم في الآخرة.

(*) سورة الواقعة، الآيتان ٧١، ٧٢.

ما في الأرحام(*)

What is in The Wombs

حاول الإنسان باستمرار وعلى مر العصور معرفة جنس الجنين بالرحم ذكراً أو أنثى على أساس تفضيله الغريزي للبنين على البنات، أو كنوع من الشغف أو التحدي من البعض، لما ظنه في هذا الصدد من أن علْم الله بما في الأرحام الوارد في القرآن الكريم مقصود به معرفة جنس الجنين. ولقد استخدم الإنسان في ذلك وسائل وأساليب اختلفت باختلاف الزمان والمكان، ووضعوا لذلك علامات وأمارات معينة علهم يتنبأون من خلالها بجنس الجنين ومنهم من حاول استخدام تفسير الأحلام في هذا الصدد. وفي العصر الحديث جرت محاولات جادة لكشف النقاب عن جنس الجنين بالرحم باستخدام كل ما توصل إليه الإنسان من علم ومعرفة. ولقد حقق الإنسان في ذلك بعض النتائج الإيجابية.

وعلى الرغم من أن أيّاً من تفاسير القرآن الكريم القديمة والحديثة بكل أنواعها لم يذكر مطلقاً أن المقصود بعلم الله بما في الأرحام هو معرفة جنس الجنين ذكراً أم أنثى ... على الرغم من ذلك استخدم بعض أعداء الإسلام نجاح الإنسان في تحقيق هذه النتائج الإيجابية في كشف جنس الجنين ذكراً أم أنثى أداة لمهاجمة القرآن الكريم على أساس ما ورد فيه عن غيبية علم الله سبحانه وتعالى بما في الأرحام. فمن ناحية استخدم الملحدون هذا الأمر لتقوية دعوتهم إلى الإلحاد وبالتالي التحلل من كل القيم والمبادئ الأخلاقية السامية التي أرساها الله سبحانه وتعالى لصالح البشر في دنياهم وآخرتهم وجاء ذكرها بالقرآن الكريم

(*) يمكن القراءة عن هذه الغيبية باستفاضة في كتاب المؤلف بعنوان: (العلم بما في الأرحام ... القرآن الكريم يحسم الجدل نهائياً)، دار الفكر العربي، القاهرة، عام ١٤٢٦هـ : ٢٠٠٥م.

والسنة المطهرة. ومن ناحية أخرى استخدم بعض الحاقدين من الذين يعتنقون الأديان الأخرى هذا الأمر ذريعة للهجوم على الإسلام والنيل منه بالباطل والانتصار لأديانهم.

وعلى الرغم من بعض النتائج الإيجابية التي توصل إليها العلم في مجال الكشف عن جنس الجنين، إلا أن هذا لا يمس مصداقية القرآن الكريم في قليل أو كثير، إذ أن فهم البعض لمقصود القرآن الكريم فيما يختص بالغيبة الثالثة المتعلقة بعلم الله بما في الأرحام جاء على نحو غير صحيح. أي أن الخطأ هنا في فهم البعض للقرآن الكريم وليس في القرآن الكريم ذاته. ونتيجة لذلك أدى هذا الفهم الخاطئ للقرآن الكريم فيما يتعلق بهذا الموضوع إلى أن استدل أعداء الإسلام بالفاسد على الصحيح متصورين أنهم قد استطاعوا أخيراً إيجاد ثغرة في صرح الإيمان، ولم يتصوروا أنهم يجرون وراء سراب يحسبه الظمآن ماء!!.

أمر غريب ويزداد هذا الأمر غرابة في أن هذا الهراء قد راج بين ضعاف الإيمان والمتفرنجين من المسلمين، ومنهم أنصاف مثقفين وكتاب علمانيين. ولقد وجد كل هؤلاء هذا الادعاء بكشف الغيب فرصة ذهبية طالما حلموا بها وتمنوا وانتظروها للانقضاض على الدين الإسلامي الحنيف.. وهل يمكن لأحد قتل الإسلام؟!!.

وحقيقة الأمر فإن ما أثير ويثار من ضجيج بين الوقت والآخر حول الغيبية الثالثة المتعلقة بعلم الله بما في الأرحام ينبغي أن يكون دافعاً للدعوة المخلصة للدراسة الموضوعية للعلاقة بين الدين والعلم في جميع الموضوعات من ناحية. وكذا الاطلاع الجاد المخلص على التفاسير الصحيحة للقرآن الكريم ودراستها دراسة متأنية مستفيضة مستنداً في ذلك إلى القرآن الكريم ذاته وإلى السنة النبوية الشريفة وأقوال الصحابة والتابعين والأئمة المتخصصين. فإذا ما حدث خطأ في التفسير بعد

ذلك في أحد الموضوعات يكون الخطأ في الاجتهاد ولا يمس هذا مصداقية القرآن الكريم أو السنة المطهرة بحال من الأحوال.

المفهوم الخاطئ لمعنى علم الله بما في الأرحام:

ويتمثل المفهوم الخاطئ لمعنى علم الله بما في الأرحام في ناحيتين أولهما انصراف هذا المفهوم إلى أن علم الغيب يقصد به معرفة ما إذا كان الجنين بالرحم ذكراً أم أنثى وتمثلت الناحية الثانية في ذهاب هذا المفهوم إلى أن أحداً غير الله لا يمكنه معرفة نوع الجنين في الرحم. وتتمثل أسباب هذا المفهوم الخاطئ لمعنى علم الله بما في الأرحام في حب الإنسان الغريزي للبنين مما أدى إلى انصراف البعض إلى هذا التفسير من منطلقات نفسية ومجتمعية. وأيضاً من هذه الأسباب ابتعاد كثير من المسلمين عن المنابع الأصلية لدينهم الحنيف مما أدى بهم إلى التشتت الفكري حيال بعض القضايا على الرغم من حسمها في منابع هذا الدين من قرآن كريم وسنة نبوية شريفة. كذلك من هذه الأسباب سريان الفكر الغربي البراجماتي بين المسلمين، والذي لا يعترف إلا بالخصائص التي يمكن أن تختبر في المعمل ولا يلقي بالاً بالأمور غير الحسية وغير الروحية أو بالأمور الغيبية المتعلقة بالمستقبل.

المفهوم الحقيقي لمعنى علم الله بما في الأرحام:

ويقصد بعلم الله العليم الخبير بما في الأرحام (Uterine) wombs، علم كل شيء عن الأرحام وعن أجنتها سواء كانت هذه الأشياء مادية أو معنوية أو روحية، وسواء كانت هذه الأجنة بالرحم أو قبل وجودها به أو بعد ميلادها في الحياة الدنيا أو بعد وفاتها وانتقالها للحياة الآخرة(*). فسبحان الله الخالق البارئ

(*) جاء في تفسير معاني القرآن الكريم السابق لعبد الله يوسف علي ص ١٠٨٩:

The mention of wombs brings in the mystery of animal life, Embryology, sex, and a thousand other things. Who can tell - to take man alone – whether the child conceived is male or female, how long it will remain in the womb, whether it will be born alive, what sort of new individual it will be, - a blessing or curse to its parents, or society?

المصور، سبحان من اشتمل علمه على معرفة خلقه بالأرحام ليس فقط أبان وجودهم في الأرحام وإنما منذ تواجدهم في عالم الغيب إلى أن يصبحوا في عالم الشهادة. سبحان من يحيط علمه بأحوال خلقه قبل وجودهم في الأرحام وأثناء الوجود وبعد الوجود وإلى أن ينعدم الوجود.

وفيما يلي دراسة المفهوم الحقيقي لمعنى علم الله بما في الأرحام في النقاط التالية:

أ ـ الإنسان خُلق منفصلاً ولم يتطور من مخلوق آخر:

يقول الله تعالى: (***إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ***)[1]، كذلك قال تعالى في نفس السورة: (***قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ***)[2]. وتدل هذه الآيات البينات على أن الله القادر المقتدر قد خلق الإنسان من طين، أي أن بدايته كانت من الطين وليس من أي مخلوق آخر، وأن تسوية الله له وخلقه بيده الكريمة تدل على أن الإنسان خلق خلقاً منفصلاً ولم يكن متطوراً من كائن آخر كقرد أو نحوه كما يقول (دارون). إذ أن الإنسان خلقه الله بيده الكريمة ابتداء، ثم نفخ فيه من روحه الكريمة فسما بذلك على جميع المخلوقات. ومن ثم فالله العليم الخبير يعرف خلقه في جميع أطواره قبل الوجود بالأرحام وأثناء الوجود بها وبعد هذا الوجود.

ب ـ أبعاد المفهوم الحقيقي لعلم الله بما في الأرحام:

وبالنسبة لأبعاد المفهوم الحقيقي لعلم الله العلام بما في الأرحام وأبعاده فلا يمكن للإنسان حصرها. إذ أن علم الإنسان بجنس الجنين بالرحم،مع افتراض دقته، ليس كشفاً لعلم الله بما في الأرحام. فعلم الله بما في الأرحام يشتمل على علم كل ما في الأرحام. ويشتمل ذلك على العلم بالإمكانيات الحالية والمستقبلية

---

(١) سورة ص، الآيتان ٧١، ٧٢.

(٢) سورة ص، بالآية ٧٥.

للأرحام على الإنجاب وما إذا كانت هذه الأرحام ستنجب بالفعـل أم لا والعلـم بأسرار تخليق الجنين. والعلم بما في أرحام جميع المخلوقات والعلم بجميع أحوال الأجنة في جميع أزمانها سواء قبل وجودها بالأرحام وأثناء وجودها بالأرحـام وبعد خروجها للحياة الدنيا وكذا العلم بجميع أحوال هذه الأجنة بالدار الآخرة.

كذلك يتضمن المفهوم الحقيقي لعلم الله بما في الأرحام العلم بما في أظهر الرجال وما يتضمنه ذلك من قدرة الرجل على الإنجاب من عدمها، وما إذا كان الرجل سينجب بالفعل أم لا.

حكمة إخفاء الله علم ما في الأرحام:

وتتضح حكمة الله العليم الخبير في انفراده وحده بعلم ما في الأرحام في النقاط الثلاث التالية:

أ – ضمان استمرار حركة الحياة.

وتتجلى حكمة الله سبحانه وتعالى بعباده في إخفائه علم ما في الأرحـام في ضمان استمرار حركة الحياة. فالأب الذي يعرف على وجه اليقـين أن مـا برحم زوجه سيكون ابناً عاقاً أو ابناً فاشلاً في حياته في المستقبل سيحاول على الأرجح إجهاض زوجته. وعلى نفس النحو ستتصرف الأم إذا ما عرفـت أنهـا حامل في ابن سيكون كافراً بالله أو أن هذا الابن سيقتلها وسيقتل أباه مثلاً. فـي جميع هذه الحالات وفي غيرها سيحاول أحد الوالدين أو كلاهما الـتخلص مـن جنينهما أو وأده طفلاً في المهد!! .. ولعل في قصة موسى والخضر عليه السلام مثالاً على ذلك. إذا أوحى الله سبحانه وتعالى إلى عبد من عباده، آتاه رحمة من عنده وعلمه من لدنه علماً، وهو الخضر عليه السلام بأن يقتل الغلام الذي لقيه هو وموسـى عليه السلام أثناء انطلاقهما في رحلتهما خشية أن يرهق هذا الغلام أبويـه المـؤمنين بطغيانه وكفره. وكان هذا بالطبع نتيجة لما أعلمه الله العليم الخبير لعبده بشـأن هذا الغلام. وكان هذا التصرف مثار استنكار من موسى عليه السلام لأنه لم يكـن قـد

أحيط بهذا العلم من ربه، وفي ذلك يقول الله تعالى: (*فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلاماً فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً*)(١)، كما قال تعالى: (*وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً*)(٢). كذلك في قصة فرعون وموسى دليل آخر على حكمة الله الحكيم في إخفاء علم ما في الأرحام عن عباده لضمان استمرار حركة الحياة. إذ تنبأ العرافون لفرعون بأنه سيخرج ولد من ذرية بني إسرائيل يكون سبباً في ضياع ملكه، وكان أن عمد إلى ذبح جميع مواليد بني إسرائيل من الذكور عاماً وتركهم عاماً تجنباً لذلك، ولولا عناية الله سبحانه وتعالى خير الحافظين لرسوله موسى عليه السلام لقتل، وفي ذلك يقول الله تعالى في كتابه الكريم: (*وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ*)(٣).

وحقيقة لو أطلع الله العليم عباده على علم ما في الأرحام لاهتزت حركة الحياة، إذ أن قتل ما في الأرحام أو وأدها في المهد يتعارض مع الحكمة الإلهية في أن الدنيا دار عمل والآخرة دار جزاء ثواباً كان أو عقاباً. إذ أن قتل عناصر الخير لأجنة عناصر الشر أو وأدها في المهد أو قتل عناصر الشر لأجنة عناصر الخير، فيه تعارض كبير مع هذه الحكمة الإلهية.

بـ رحمة الله بعباده.

كذلك تتجلى رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده في إخفائه علم ما في الأرحام. إذ لا يمكن تصور شعور أحد الوالدين أو كليهما عند اضطرارهما لقتل ابنهما جنيناً كان أو طفلاً كما في المثال السابق رحمة به وبهما!!.

---

(١) سورة الكهف، الآية ٧٤.

(٢) سورة الكهف، الآية ٨٠.

(٣) سورة البقرة، الآية ٤٩.

كذلك لا يمكن تصور تصرف كثير من أفراد المجتمع حيال طفل عُـرف علـى وجه اليقين بأن مستقبله مرموق. في هذه الحالة سيكثر حول هذا الطفـل ومنـذ صباه كثير من المنافقين، وفي هذا إفساد له أيما إفساد فيشب صـاحب سـلطان فاسد مما يجعله نقمة على قومه ومرعوسيه بدلا من أن يكون رحيماً بهم.

كذلك فإن تدليل هذا الطفل ذي المستقبل المرموق سيكون في كثير مـن الأحوال على حساب رفاقه من الأطفال ذوي المستقبل المتواضع أو البسـيط. إذ سيتركون في الغالب الأعم يواجهون الوحدة والمعاناة وعدم الاهتمام وهذا ما لا يرضاه الله سبحانه وتعالى لعباده رحمة بهم.

ج- دعم مبدأ الأخذ بالأسباب.

وأخيراً يمكن القول بأن إخفاء الله سبحانه وتعالى عن عباده علم ما فـي الأرحام فيه دعم لمبدأ الأخذ بالأسباب. إذ لـو فـرض أن طفـلاً قـد عـرف أن مستقبله مرموق لا محالة وآخر عرف أن مستقبله مظلم لا محالة فإنهما غالباً ما يعزفان عن الأخذ بالأسباب!!. فسيعزف الطفل الأول عن العمـل والاجتهـاد لأنه قد ضمن مستقبله وسيعزف الثاني يأساً من هذا المستقبل. كذلك لو تصورنا أن شخصاً ما عرف أنه سيدخل الجنة في الآخرة برحمة ربه، فربما بتقاعس عن عبادة ربه في حياته الدنيا وقد لا يعمل بعمل أهل الجنة في بعض الأحيان وهذا فيه إفساد للمجتمع. ومن ناحية أخرى لو أن شخصاً ما عرف أن مثـواه النـار، فإنه ربما يعمد إلى الانغماس في الشر والرذيلة ليأسه من مغفرة الله وهـذا فيـه ضرر كبير بالمجتمع.

ما يعلمه الإنسان بالأرحام ليس كشفاً للغيب وإنما هو بعض من علاماته:

ليس ما يعلمه الإنسان بالأرحام كشفاً للغيب، وإنما لا يعـدو أن يكـون بعضاً من علاماته التي سمح بها الله للإنسان أن يعلمها، وهو سـبحانه القائـل

(*سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ*)(١). فبصفة عامة هناك فروق جوهرية ين علم الله بالغيب وعلم البشر به سبق الحديث عنها في الفصل الأول السابق، منها أن علم الله بالغيب علم أزلي وأصلي وشامل وصحيح بينما علم البشر به علم لاحق وفرعي وجزئي وظني وعلى ذلك فعلم البشر بالأرحام ليس كشفاً بالغيب وإنما هو مجرد التعرف على بعض علامات هذا الغيب.

وفيما يلي بعض الأمثلة لنتائج علمية هامة توصل إليها الإنسان عن العلم بالأرحام والمفسرة لبعض آيات القرآن الكريم الأخرى، والتي لا تعتبر بحال من الأحوال كشفاً للغيب المتعلق بعلم الله بما في الأرحام وإنما لا تعدو أن تكون كشفاً لبعض علامات هذا الغيب.

أ- وهناً على وهن(٢):

يقول الله تعالى: (*وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ*)(٣). ومعروف طبياً أن الوهن هو الضعف. والمعنى المباشر للضعف في علم الطب هو الأنيميا Anaemia، ويعد الإحساس بالتعب العام والإرهاق وعدم القدرة على بذل مجهود من أهم أعراضها. ويتم تشخيص الأنيميا معملياً بفحص صورة الدم Complete Blood Picture، حيث يظهر الانخفاض في نسبة الهيموجلوبين Haemoglobin. ومن المعروف طبيّاً أن الكثير من السيدات يعانين من الأنيميا، حيث تفقد المرأة كمية من الدم شهريّاً بصورة شبه منتظمة خلال الدورة الشهرية Menstrual Cycle المعروفة بالحيض. وذلك على

---

(١) سورة فصلت، بالآية ٥٣.

(٢) هذا المثال من اجتهاد الطبيب الشاب الدكتور/ حسام الدين طاهر راشد، طبيب أمراض النساء والولادة، مقابلة شخصية، في رجب عام ١٤٢٥هـ الموافق سبتمبر عام ٢٠٠٤م.

(٣) سورة لقمان، بالآية ١٤.

خلاف الرجال إذ يبلغ المعدل الطبيعي لنسبة الهيموجلوبين في الرجال من ١٤-١٦ جم٪، بينما يبلغ في السيدات من ١٢-١٤جم٪. ويمثل هذا أول وهن في المرأة. ويحدث الوهن الثاني عند حدوث الحمل إذ تنخفض هذه النسبة فسيولوجيا في النساء إلى ١٠,٥جم٪ وينتج هذا عن زيادة حجم البلازما بنسبة أكبر من نسبة زيادة كرات الدم الحمراء، فيؤدي هذا إلى انخفاض نسبة الهيموجلوبين إلى ١٠,٥جم٪ ويطلق على هذا "الأنيميا المصاحبة للحمل فسيولوجياً"(*) "Physiological anemia of pregnancy" مما يزيد الوهن والتعب أثناء فترة الحمل.

وتعد الزيادة في حجم الدم "بلازما وكرات دم حمراء Plasma and Red blood cells أثناء الحمل تكيفاً Accommodation طبيعياً خلقه الله في المرأة حيث يصبح دم المرأة أثناء فترة الحمل مسئولاً عن تغذية المرأة وتغذية ونمو الجنين أي مسئولاً عن حمل الغذاء والأكسجين لكل منهما.

ومما سبق يمكن القول بدقة التعبير القرآني في قوله تعالى: (***وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ***) أي ضعفاً على ضعف.

كذلك وعلى الرغم من تقدم العلم البشري في معرفة الكثير عن النواحي الفسيولوجية Physiology بالرحم إلا أن كل ما توصل إليه الإنسان من علم لا يرقى بحال من الأحوال إلى علم الله بما في الأرحام، ولا يعدو أن يكون كشفاً لبعض علامات الغيب وليس الغيب نفسه، إذ أن كل رحم له قدراته التي وضعها الله فيه، كما أن تأثير الوهن الأول الطبيعي والوهن الثاني نتيجة الحمل يختلف من

(*) بالنسبة إلى البيانات التشريحية المذكورة في هذا الجزء فيمكن الرجوع بشأنها إلى المرجع الطبي التالي:

Michael Deswiet, Jeossrey chamberlain, and Phileit bsnnett, Basic science in obstetrics and Jynecology, The ebitcu churchill, Livingstone, London, UK. P.P 221-223

امرأة لأخرى ومن جنين لآخر ومن حمل لآخر. وعموماً فإن دراسة أو تحديد مستوى هذين الوهنين في المرأة الحامل يعتبر من العلامات التي يمكن أن تعطي بعض المعلومات البسيطة الأولية عما يمكن أن تكون عليه صحة الجنين وسلامته بالرحم، وهذا ليس الغيب نفسه، إذ يمكن أن يحدث شيء يموت بسببه الجنين بالرحم أو يضعف أو يصاب بمرض، نتيجة لمرض الأم أو إصابتها بمرض أو خلافه، كما قد يكون الجنين في وضع صحي متميز نتيجة للسلوك الصحي السليم للأم من ناحية برامج التغذية والرياضة وخلافه. وينطبق ذلك كذلك على الخريطة الكروموزومية التي استطاع رسمها علماء الوراثة، إذ أنها تقدم تصوراً لما يمكن أن يكون عليه حال الجنين بالرحم، لكن هذا ليس ضماناً لأن يحدث هذا التصور ويكون واقعاً ملموساً، إذ أن الظروف البيئية وحالة الأم المستقبلية تلعب دوراً أساسياً في ذلك. ناهيك عن عدم معرفة شيء عن الطفل بعد الولادة وأحواله في الحياة الدنيا وفي الآخرة، والتي لا يعلم شيء عنها سوى الله العليم الخبير.

بد طائره في عنقه(١):

يقول الخالق العليم: (***وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً***)(٢). وتدل هاتان الآيتان الكريمتان على أن لكل إنسان طائراً يلزم عنقه، يسجل كل أفعال الإنسان في حياته الدنيا، الخير منها والشر، ويوم القيامة يخرج الله هذا السجل الدقيق للإنسان ليكون شاهداً عليه. ويرى أحد علماء الطب المسلمين أن هذا الطائر الذي تتحدث عنه الآية الكريمة هو جهاز الإنسان العصبي المركزي Central Nervous System. إذ أن الجنين في أيام حياته الأولى بالرحم، وقبل أن يبلغ طوله ٣ سم، تظهر له طبقة جلدية عند منتصف ظهره على هيئة

---

(١) دكتور جمال ماضي أبو العزائم، القرآن والصحة النفسية، مؤسسة دار الهلال، الطبعة الأولى، عام ١٤١٤هـ: ١٩٩٤م، ص. ص ٨ - ٩.

(٢) سورة الإسراء، الآيتان ١٣، ١٤.

أنبوبة أسفل الجلد وتنمو هذه الطبقة وتصل إلى العنق وتبدأ في التكاثر بسرعة كبيرة جدا، ويبرز منها جناحان يشكلان فيما بعد فصي المخ مستقبلاً، ويتضمنان أكثر من مائة مليون خلية تشتمل على كل أنواع الإحساس المختلفة التي تتلقاها عن طريق أطراف الجهاز العصبي، مثل السمع والبصر والذوق والشم وأحاسيس الجلد المختلفة، وتنقلها إلى الجهاز العصبي المركزي ومنه إلى المراكز العليا ومنها إلى أجهزة الجسم المختلفة المسئولة عن الانفعال والحركة، لتنفيذ أفعال وأعمال مخططة ومحسوبة. وتتكون خلايا الذاكرة على كلا الجناحين أو الفصين المتكونين والمتفرعين عند العنق والمستقرين في فراغ جمجمة الإنسان. ويسجل بهذه الخلايا كل أحداث ووقائع حياة الإنسان، ومن ثم تكون شاهدة عليه في الآخرة إذ تتضمن كل ما قدم طوال حياته الدنيا. ويأتي هذا متسقاً مع ظاهر الآيتين السابقتين من سورة الإسراء واللتان تدلان على دقة أحد جوانب علم الله بأحوال الجنين بالرحم وبأحواله في الحياة الدنيا بعد أن يولد ويصير إنساناً مكلفاً.

وعلى الرغم مما توصل إليه الإنسان من علم عن تكوين الجنين بالرحم فيما يتعلق بكيفية تكوين وعمل جهازه العصبي المركزي وأجهزة الجسم المسئولة عن الانفعال والحركة وتكوين خلايا الذاكرة التي تسجل كل وقائع حياة الإنسان، إلا أن كل ذلك على أهميته ليس كشفاً لعلم الله بما في الأرحام. إذ أن هذا العلم لا يقدم شيئاً عن التنبؤ بأفعال الجنين بعد ميلاده وتصرفاته المستقبلية وأحوال حواسه فيما يتعلق بالسمع والبصر والذوق والشم وغيرها من الحواس والأحاسيس الأخرى ولا يعرف شيئاً عن تأثير هذه الحواس والأحاسيس المختلفة على سلوكه المستقبلي في حياته الدنيا فضلاً عن وضعه في الآخرة.

كذلك نظراً لأن الجهاز العصبي أصله جلدي ويسجل كل ما يقوم به الإنسان كما سبق بيانه، فإنه والأمر كذلك يعتبر كتاباً مسطوراً يسطر فيه كل

أعمال الإنسان في حياته الدنيا ومن ثم يتبين من ذلك أحد أوجه الإعجاز القرآني والعلم الرباني في قوله تعالى: (***وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ***)(١)، فالكتاب المسطور هو الذي يسطره الإنسان بحواسه على صفحات من الجلد المتمثل في جهازه العصبي. ولعل هذا يأتي مفسراً لقوله تعالى: (***وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ***)(٢)، فطالما أن كتاب الإنسان الذي يقرأه في الآخرة مسطوراً على جلده فإن هذه الجلود صالحة لأن تشهد عليه وعلى أفعاله في الآخرة، إذا أمرها الله بذلك وأنطقها.

وعلى الرغم مما توصل إليه الإنسان في هذا الصدد، إلا أن ذلك ليس على الإطلاق كشفاً لعلم الله بما في الأرحام. إذ أن هذا العلم لا يقدم شيئاً عما سيسطر في هذا الكتاب من أفعال وأعمال الجنين بعد ميلاده خيراً كانت أم شراً في حياته، الدنيا وبالتالي لا يقدم شيئاً عن أحواله في الآخرة.

جـ- في رق منشور:

من الأمثلة السابقة تبين أن فصي المخ الأيمن والأيسر يحتويان على ملايين الخلايا التي تسجل كل ما يتلقاه الإنسان من الأحاسيس المختلفة، وبذلك تتضمن هذه الخلايا المنتشرة على سطح فصي المخ كل المعلومات التي يحصل عليها الإنسان مما تمكنه من تكوين معارفه وأفكاره الخاصة التي يتبناها، والتي تتأثر فيما بعد بالبيئة وبالتربية الأسرية والمجتمع، وبذلك يكتسب سلوك الإنسان طابعاً مميزاً.

وعلى الرغم من هذا الكشف العلمي لبعض أحوال الجنين بالرحم إلا أن ذلك ليس كشفاً لعلم الله بما في الأرحام، إذ أن هذا العلم رغم أهميته لا يعرف ما سيتلقى الإنسان من أحاسيس مختلفة وبالتالي لا يعرف ما سوف يسجل على هذه

---

(١) سورة الطور، الآيات من ١ إلى ٣.

(٢) سورة فصلت، الآية ٢١.

الخلايا المنتشرة على سطح فصي المخ من معارف وأفكار ومعلومات والتي سوف تتأثر كثيراً بالبيئة المحيطة من أسرة ومدرسة وعمل ومجتمع ولا يعرف ذلك كله إلا الله العليم الخبير.

د- من حبل الوريد[1]:

وحبل الوريد Jugular Vein هو وريد بالعنق يتفرع من المخ. إذ توجد أوردة صغيرة تأتي من سطح المخ ثم تتجمع جميعها وتكون وريدين أحدهما يتجه إلى اليمين والآخر يتجه إلى اليسار، ثم يخرجان معاً من فراغ الرأس إلى العنق. وبعد ميلاد الطفل، وفي الأيام الأولى من حياته يبدأ أحد فصي المخ في السيطرة على الآخر، وبذلك يتحدد مبكراً جداً ما إذا كان الإنسان سيعتمد على قدرات فصه الأيمن أو الأيسر في التعامل مع الأشياء وفقاً للفص الغالب والمسيطر، وإن كان ذلك لا يعني إلغاء دور الفص الآخر، بل إن هذا الفص الآخر يظل يقوم بعمله لكن تحت سيطرة الفص الغالب المهيمن. وهذه حكمة كبيرة ورحمة من الله الخالق المصور، إذ لو كان هناك انفصال كل من الفصين عن الآخر لفسدت حياة الإنسان ودمرت. إذ كان من الممكن أن يتلقى عضوان مختلفان من الجسد أمرين متضادين يعوق كل منهما الآخر في آن واحد وبذلك يحدث اضطراب عضوي في السلوك البشري، لكن الله الحكيم اقتضت حكمته أن تكون السيطرة والتحكم محددة لفص واحد، ولعل هذا يفسر قوله تعالى: (***مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ***)[2]، لكن الله الخالق الحكيم خلق للإنسان قلباً واحداً مسيطراً على الأوعية الدموية البشرية ليعمل في رتابة واتساق وفقاً لنظام محدد ومنظم، لذا ذكر الله الخالق المصور في القرآن الكريم حبل الوريد بصيغة المفرد ولم يقل حبلي الوريد، إذ أن القيادة لفص المخ تحددت لفص واحد ذي وريد واحد

---

(١) دكتور/ جمال ماضي أبو العزائم، القرآن والصحة النفسية، مرجع سابق، ص. ص ٢١ - ٢٢.

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٤.

وهو يهيمن ويسيطر على الفص الآخر في نفس الوقت، وهذا في حد ذاته إعجاز ومثال على أحد جوانب علم الله تعالى بما في الأرحام.

كذلك وفي نفس الوقت يمتد علم الله هذا بما في الأرحام إلى العلم بالإنسان في حياته الدنيا، وذلك واضح من قوله تعالى: (*وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ*)[*]. إذ تبين مما تقدم قرب هذين الوريدين من القوة العقلية المفكرة والمدبرة، إذ تتفرع مباشرة من على سطحهما وتلاصقهما مباشرة الأنسجة الخاصة بالتفكير؛ لذا ضرب الله العليم بحبل الوريد المثل، وأوضح أنه سبحانه وتعالى الذي خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه، وأنه قريب جداً من مواطن التفكير والوسوسة، بل أقرب إليها مما يلامسها ويلاصقها من خلايا وأوردة مغذية، أي أقرب إليها من حبل الوريد. ولعل هذا مثال يوضح علم الله الدقيق بالبشر أبان وجودهم بالأرحام وأثناء تكوينهم بها وكذا بعد خروجهم من هذه الأرحام إلى الحياة الدنيا.

وعلى الرغم من معرفة الإنسان وظيفة حبل الوريد ودوره في السيطرة على فصي المخ، وعلى الرغم من معرفته مراكز الإحساس والوسوسة التي يوسوس بها الإنسان نفسه وما يلامسها ويلاصقها من خلايا وأوردة مغذية، إلا أنه لا يعرف شيئاً عن ماهية هذه الوسوسة التي تختلف بالطبع من شخص لآخر؛ فهناك النفس المطمئنة وهناك النفس اللوامة وهناك النفس الأمارة بالسوء، فمن يستطيع معرفة نفس الإنسان وما بها من أفكار ووساوس سوى خالقها!!.

القرآن الكريم يحسم الجدل:

على الرغم من أن القرآن الكريم ليس كتاب علم بايولوجي، فقد اقتضت حكمة الله الحكيم أن يحسم جميع القضايا التي ستكون مثار خلاف بين البشر في

(*)سورة ق، الآية ١٦.

القرآن الكريم، ولعل هذا يفسر جانباً من قوله تعالى: (***مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ***)[1]. ولما كان موضوع العلم بما في الأرحام وما يعلمه الله من أنه سيثير الكثير من الجدل حول ماهية هذا العلم وطبيعته ومستواه وعلاقة ذلك بمعرفة جنس الجنين، فقد ضمن الله في كتابه الكريم حسماً لهذه القضية ليوضح أن معرفة جنس الجنين بالرحم ليست بحال من الأحوال كشفاً لعلمه في هذا الصدد.

ويأتي هذا الحسم في القرآن الكريم في إحدى سوره ضمن سياق رواية لقصة ميلاد العذراء مريم ***عليها السلام***. فقد اشتاقت السيدة حنة للإنجاب بعدما رأت طائراً يطير وخلفه صغاره، فتضرعت إلى الله أن يرزقها بولد، ونذرت إن تحقق لها ذلك ستهب هذا الولد لخدمة المحراب. وبالفعل حملت السيدة حنة، ولما وضعت حملها وجدتها أنثى فحزنت لذلك على أساس أنها كانت تتمنى أن يكون وليدها ذكراً لتتقرب به إلى الله لأنها وفقاً لعلمها المحدود البسيط اعتقدت أن بولادتها لأنثى قد خسرت هذا الشرف والثواب الكبير لأن جنس وليدتها قد حسم الموضوع. لكن الله العليم الخبير أوضح أن معرفتها لجنس الوليد ليس معرفة لوضعه أو مستقبله في الحياة الدنيا أو في الآخرة. فهذه الوليدة وإن كانت لا تخدم في المحراب، إلا أنها ستكون أمّاً لرسول كريم هو المسيح عيسى ابن مريم ***عليهما السلام*** ومن ثم فإن معرفة جنس الوليد لا تشكل شيئاً من علم الله. وفي ذلك يقول الله تعالى: (***فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى***)[2]. وواضح أن السيدة حنة قد حزنت لولادتها أنثى وراحت تناجي ربها بحزن قائلة له: يا رب إني وضعت أنثى، وهي تقصد بذلك عدم تمكنها من التقرب إلى جنابه على النحو الذي كانت تأمل وترجو، وذلك على أساس أن الذكر ليس كالأنثى، فالذكر يمكنه أن يخدم في المحراب، بينما لا

(١) سورة الأنعام، الآية ٣٨.

(٢) سورة آل عمران، بالآية ٣٦.

تستطيع الأنثى القيام بذلك. إلا أن الله العليم الخبير قاطع مناجاتها قائلاً بأنه سبحانه وتعالى أعلم بما وضعت، وهذا معناه أنها وإن كانت قد علمت بجنس مولودتها فإنها لا تعلم شيئاً يذكر عن ماهيتها، وبالتالي ليس لها أن تحزن فالله يعلم أن هذه الوليدة ستكون أكثر أهمية ربما من أي ذكر يخدم في المحراب، إذ أن علم الله أكبر وأشمل وأدق كثيراً من علمها، وهذا واضح من قوله تعالى: (*وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ*)(*)، ومن ثم فالله سبحانه وتعالى يوضح أن علم امرأة عمران بجنس وليدتها ليس كشفاً لعلم الله، فالله دائماً أعلا وأعلم.

وإذا كان العلم المؤكد بجنس الوليد ليس علماً لماهيته وشخصيته، أي ليس كشفاً لعلم الله المقصود، فما بال العلم غير المؤكد بجنس الجنين بالرحم والذي قد يخطئ أحياناً، كما قد يستحيل معرفته أحياناً أخرى.

وعلى ذلك لا يمكن القول مطلقاً بأن العلم بجنس الجنين بالرحم يمثل كشفاً لعلم الله بما في الأرحام.

العلم بجنس الجنين ... ليس كشفاً للغيب إنما هو أحد علاماته:

وثمة سؤال آخر وأخير في هذا الموضوع، يتمثل في ماهية العلم بجنس الجنين. فإذا كان الكشف عن جنس الجنين بالرحم لا يمثل بحال من الأحوال كشفاً للغيب المتمثل في علم الله بما في الأرحام فماذا عساه أن يكون؟

الفروق الجوهرية بين الغيب وعلاماته في علم الله بما في الأرحام.

حقيقة لا تمثل معرفة جنس الجنين بالرحم سوى إحدى علامات الغيب المتعلق بعلم الله بما في الأرحام. مثلها في ذلك مثل إحدى علامات الساعة التي نلاحظها هذه الأيام، والسابق الحديث عنها كرفع العلم من الأرض وضياع الأمانة وإسداء الأمور إلى غير أهلها، وميلاد الأمَة لربتها وغيرها. وكما أن

(*) سورة آل عمران، بالآية ٣٦.

هناك فارقاً كبيراً بين ملاحظة ظهور هذه العلامات للعلم بقرب قيام الساعة للإسراع بالتوبة وبالعمل الصالح وبين كشف الغيب نفسه المتمثل في تحديد ميعاد قيام الساعة، فإن هناك فارقاً كبيراً أيضاً بين ظهور علامة الغيب المتمثلة في معرفة جنس الجنين بالرحم وبين معرفة الغيب نفسه المتمثل في ماهية الجنين في المستقبل وسيرته في الحياة الدنيا ومآله في الآخرة. وشتان بين معرفة علامات الغيب وبين الكشف عن الغيب نفسه. وهناك فروق جوهرية سبق تناولها بالتفصيل في الفصل الأول، بين الغيب وعلامات الغيب، يمكن ملاحظتها جميعاً عند المقارنة بين الغيب المتمثل في علم الله بما في الأرحام وبين علامة الغيب المتمثلة في معرفة جنس الجنين بالرحم. وفيما يلي توضيح هذه الفروق في هذه الحالة:

أولاً ـ يغيب علم الله بما في الأرحام المتمثل في ماهية الإنسان وسيرته في الحياة الدنيا ومآله في الآخرة عن جميع البشر فلا يعرفونه، بينما تمثل معرفة جنس الجنين بالرحم إحدى علامات هذا الغيب التي يظهرها الله الحكيم لعباده، وذات مدلول معين مرتبط بهذا الغيب.

ثانياً ـ يخفي الله العليم غيبه المتعلق بعلمه بما في الأرحام لحكم معينة سبق ذكرها كضمان استمرار الحياة ورحمة من الله الرحيم بعباده ودعماً لمبدأ الأخذ بالأسباب، بينما يظهر الله الحكيم بعض علامات هذا الغيب كمعرفة جنس الجنين بالرحم لبعض الحكم المهمة مثل:

أ – رحمة الله الرحمن الرحيم بعباده بإعطائهم بعضاً من علمه حول أنفسهم بالقدر الذي يساعدهم على الحياة في صحة أفضل. إذ أن هناك بعض الأمراض الوراثية التي لا تصيب إلا الذكور فقط مثل أمراض التخلف العقلي والهيموفيليا والأنيميا ونقص التغذية والتي تنتقل إليهم عن طريق الأمهات الحاملات للجينات المصابة دون أن يصبن به. وربما يكون

الكشف عن جنس الجنين في هذه المرحلة الجنينية المبكرة بمثابة إنذار مبكر مفاده أن الجنين سوف يصاب بواحد أو أكثر من هذه الأمراض، ومن ثم يمكن اتخاذ التدابير الطبية اللازمة لوقايته منها في أقرب وقت ممكن، خاصة بعد التقدم العلمي الهائل في هذا العصر. كذلك فإن نجاح الجهود العلمية للكشف عن جنس الجنين يمكن أن يطمئن كثير من هذه الأسر التي تضم زوجات حاملات لجينات الإصابة من اتخاذ قرار الحمل والإنجاب، على أساس أنه لو كان الجنين أنثوياً فلن يصاب بأي من هذه الأمراض في المستقبل، ولو كان الجنين ذكرياً فيمكن علاجه مبكراً.

ب- قد يكون الكشف عن جنس الجنين مفيداً في بعض الحالات التي يكون فيها الكشف المبكر عن جنس العضو الجديد المنتظر في الأسرة أمراً حيوياً. إذ أن هذا الكشف، وعلى الرغم من احتمال عدم تحققه، إلا أنه يفيد في بعض الحالات مثل حالة الاضطرار السريع لكتابة الوصية أو حالة الاضطرار لأخذ فكرة مبدئية عن الميراث المستقبلي لكل من أفراد الأسرة على نحو عاجل وفقاً للشريعة الإسلامية، إذ يؤجل توزيع الميراث في هذه الحالة حتى يتم الوضع، إذا كان الوليد المتوقع وارثاً.

ثالثاً ـ لا يمكن للبشر البحث عن الغيب المتعلق بعلم الله بما في الأرحام لمعرفة ماهية الإنسان وما ستكون عليه سيرته في الحياة الدنيا ومآله في الآخرة؛ إذ أن ذلك خارج عن نطاق العلم البشري ولا يمكن إخضاع أي منه للتجربة في المعمل. بينما يمكن إخضاع بعض علامات هذا الغيب للبحث والتجارب في المعمل لكشفها، وذلك على نحو ما حدث من إنجازات في مجال الكشف عن جنس الجنين وفي مجال الكشف عن الأحوال الصحية للأجنة بالأرحام.

رابعاً ـ يمثل الغيب المتعلق بعلم الله بما في الأرحام لله عز وجل علماً يقينياً مؤكداً ودقيقاً لا تشوبه أي شائبة ولا يعتريه أي نقص في أي جزء ولو

بسيط من جزئياته. بينما يمثل علم البشر ببعض علامات هذا الغيب مثل الكشف عن جنس الجنين، علماً ظنياً احتمالياً تعوزه الدقة وينقصه الشمول، وقد يتحقق وقد لا يتحقق، كما أن هناك حالات كثيرة لم يتمكن العلم من كشف جنس الجنين بها حتى الآن.

خامساً ـ إذا أظهر الله علام الغيوب بعضاً من غيبه المتعلق بماهية إنسان معين أو سيرته في الحياة الدنيا أو مآله في الآخرة يكون هذا لبعض عباده الصالحين الذين يرتضيهم خاصة دون بقية البشر، وغالباً ما يكون هؤلاء العباد الصالحون على صلة بهذا الكشف وذلك على نحو ما حدث مع نبي الله زكريا وابنه يحيى ***عليهما السلام***. فقد أخبر الله العليم نبيه زكريا عليه السلام بأن امرأته ستحمل وتلد وأخبره بجنس المولود واسمه وسيرته في الدنيا ومآله في الآخرة. إلا أن إظهار الله سبحانه وتعالى لبعض علامات غيبه يكون للبشر كافة لكي يستفيدوا جميعاً من حكمة هذا الإظهار لأنها تهم البشر جميعاً. ففي هذه الحالة، وبالنسبة للكشف عن جنس الجنين فإن الله الرحيم يظهر هذا الكشف على جميع عباده، طالما أخذوا بالأسباب وطالما اتبعوا القواعد العلمية التي علمهم إياها. إذ يمكن لعلماء الطب والأجنة أن يطبقوا ما منحهم الله العليم من علم على جميع حالات الحمل المتماثلة ليحصلوا على نفس النتائج.

وعلى ذلك، أرجو أن يكون قد اتضح، لكل ذي عقل وبصيرة، أن ما يدعيه البعض من كشف للغيب المتعلق بعلم الله بما في الأرحام ما هو إلا محض افتراء قصد به الطعن في صحة القرآن الكريم، ومن ثم الطعن في صدق الرسالة المحمدية لصرف المسلمين عن إسلامهم، الذي هو عصمة أمرهم. فأعداء الإسلام لا يتركون فرصة تتاح لهم لمحاربة الإسلام إلا انتهزوها لكن الله سبحانه وتعالى يدافع عن دينه القيم ويدافع عن الذين آمنوا.

محاولات التحكم في جنس الجنين:

وفي السنوات الأخيرة جرت عدة محاولات للتحكم في جنس الجنين بعدة طرق منها طريقة استخدام بعض المعلومات عن المواعيد المحتملة للإخصاب وسرعة الحيوانات المنوية التي تحمل صفة الذكورة وتلك التي تحمل صفة الأنوثة وبالتالي يمكن تحديد مواعيد الجماع بين الزوجين والتي يحتمل أن ينتج عنها الحمل بجنين من جنس معين. كذلك جرت محاولات التحكم في جنس الجنين، وباستخدام وسائل معينة لفصل نوعي الحيوانات المنوية عن بعضها البعض بطريقة أو بأخرى وإخصاب البويضة بنوع الحيوان المنوي المطلوب فيكون الجنين ذكراً أو أنثى وفقاً لرغبة الزوجين.

وينطوي هذا الموضوع على قضيتين هامتين هما:

أولاً: محاولات التحكم في جنس الجنين والمشيئة الإلهية.

ثانياً: مردود محاولات التحكم في جنس الجنين على البشرية.

وفيما يلي تناول ذلك بالدراسة:

محاولات التحكم في جنس الجنين والمشيئة الإلهية:

نتيجة لمحاولات التحكم في جنس الجنين، ربما يثار سؤال حول ما إذا كان ثمة تعارضاً بين نتائج هذه المحاولات وبين ما جاء بالقرآن الكريم عن المشيئة الإلهية. إذ قال الله تعالى: (***لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ* أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ***)[1]. وتوضح هاتان الآيتان أن الله هو المالك لكل شيء في السموات وفي الأرض وأنه سبحانه وتعالى الوهاب الذي يخلق ما يشاء ويهب لمن يشاء منهم الإناث كما يهب كلا الجنسين لمن يشاء من عباده أو يجعل من يشاء

---

(١) سورة الشورى، الآيتان ٤٩، ٥٠.

منهم عقيما لا ينجب. فالإنجاب هو هبة من الله لمن يشاء من عباده ومن ثم فهي رزق لهؤلاء العباد يخضع بالكامل لمشيئة الله.

وبالنسبة لمحاولات التحكم في جنس الجنين فينبغي التذكير بأنه لا يتم شيء في هذا الكون إلا بإرادة الله وأن ما يتوصل إليه البشر من علم لا يتم إلا بإرادة الله وبمشيئته وهذا واضح من قوله تعالى: (***وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ***)(١) وعلى ذلك فلا يمكن للبشر التوصل إلى أي نتائج علمية في هذا الموضوع أو في غيره إلا إذا شاء الله العليم القدير.

وعلى ذلك ينبغي التأكيد على أن إرادة البشر في التوصل إلى نتائج معينة للتحكم في جنس الجنين مشروطة ابتداء بإرادة الله. وواضح ذلك من قوله تعالى: (***وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً***)(٢). أي أن أية محاولة للتحكم في جنس الجنين لا تتم بعيداً عن إرادة الله ومشيئته وسيطرته ومن ثم فلا تعارض مطلقاً بين هذه المحاولات وبين ما جاء بالقرآن الكريم، والله المهيمن المسيطر يقول لعباده: (***وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً* إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ***)(٣). وهذا تنبيه من الله المهيمن لعباده بأن ما يريدون وما يشاءون لم يتم ولن يتحقق إلا أن يشاء سبحانه وتعالى. وعلى ذلك فيمكن التأكيد بوضوح على أن هذه المحاولات للتحكم في جنس الجنين إن تمت فلا تتم إلا بمشيئة الله ومن ثم فلا تعارض بين هذه المحاولات وبين ما جاء بالقرآن الكريم. كذلك ينبغي إلا يغيب عن الأذهان أن الأمر كله لله وأن في مقدور الله إفشال أي محاولة أو حتى منعهم من القيام بها أصلاً فسبحانه وتعالى هو القائل:(***وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ***)(٤).

---

(١) سورة البقرة، بالآية ٢٥٥.

(٢) سورة الإنسان، الآية ٣٠.

(٣) سورة الكهف، بالآيتين ٢٣، ٢٤.

(٤) سورة الأنعام، بالآية ١٣٧.

مردود محاولات التحكم في جنس الجنين على البشرية:

وعلى الرغم من أن محاولات التحكم في جنس الجنين لا تتم إلا بـإرادة الله وبمشيئته إلا أن مردودها ليس في صالح البشرية في جميع الأحـوال. فـالله العادل أوضح لعباده من خلال كتبه ورسله سبل الخير والشر وتركهم يتصرفون على نحو ما يريدون واحترم جهودهم المبذولة وأخذهم بالأسباب وعلى ذلك فهم يتحملون نتائجها إيجاباً وسلباً فهو سبحانه وتعالى القائل: (*وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ*)(١) أي أن الله العادل أوضح للبشر طريق الخير وطريق الشر وتـركهم يتصـرفون وفي النهاية فهناك أصحاب الميمنة وهناك أيضاً أصحاب المشأمة وليس للإنسان في النهاية إلا ما سعى وأن هذا الإنسان سوف يرى نتائج سـعيه وسـيجزيه الله العادل الجزاء الأوفى وهذا واضح من قوله تعالى: (*ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ* أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ* وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ* عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ*)(٢) وقوله تعالى: (*وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى* وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى* ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى*)(٣).

وعلى ذلك فالإنسان يتحمل وحده تبعات كل تصرفاته ومنها محـاولات التحكم في جنس الجنين. وفي هذا الصدد فيمكن التمييز بين نوعين من النتـائج إحداها نتائج سلبية محققة والأخرى نتائج إيجابية محتملة، وفيما يلي إيضاح ذلك:

أ – النتائج السلبية المحققة:

نظراً لحب الإنسان الغريزي للبنين وتفضيله لهم عن البنات فإن النجاح في محاولة التحكم في جنس الجنين سيكون له مردود سلبي على البشرية جمعـاء. إذ أن احتمالات اختيار الإنسان للذكور سيكون احتمالاً كبيراً، وبالتالي ستختل نسـبة الذكور إلى الإناث اختلالا كبيرا لصالح الذكور. صحيح أن البشر نجحوا إلى حـد

---

(١) سورة البلد، الآية ١٠.

(٢) سورة البلد، الآيات من ١٧ إلى ٢٠.

(٣) سورة النجم، الآيات من ٣٩ إلى ٤١.

كبير في الكشف عن جنس الجنين بالرحم وبالتالي أمكنهم إجهاض الحمل في حالة كون جنس الجنين لا يروق لهم ومن ثم فربما يقول قائل أن الأثر السلبي موجود في المجتمع بالفعل، لكن الكارثة أن التحكم في جنس الجنين من البداية سيكون أسهل كثيراً وأقل خطورة على حياة الأم مما يحدث الآن من الإجهاض والإجهاض المتكرر، وهذا سيشجع كثيراً على تحديد جنس الجنين، ومن ثم سينشأ خلل مجتمعي كبير كما حدث في بعض الدول. ففي الصين مثلاً حذرت بعض التقارير التي نشرت من تراجع أعداد الإناث كثيراً بالنسبة لأعداد الذكور مما يهدد مئات الملايين من الشبان الصينيين بعدم وجود زوجات لهم. إذ أن سياسة الصين في تحديد النسل لكل أسرة صينية بمولود واحد فقط جعل الزوجين يحاولان الحصول على مولود ذكر بالكشف عن جنس الجنين بالرحم وإجهاض الأم في حالة كون الجنين أنثى. وغني عن البيان القول بأنه إذا ازدادت نسبة الذكور الذين لا يتزوجون سيكون معنى ذلك انهيار مؤسسة الأسرة وهذا تدمير للمجتمع كله خلقياً واجتماعياً وصحياً بل واقتصادياً أيضاً وهذا هو الإفساد في الأرض بعينه.

ب - النتائج الإيجابية المحتملة:

إلا أنه في بعض الحالات النادرة قد تفيد محاولات التحكم في جنس الجنين هذه في تجنب إصابة المواليد بأمراض ترتبط بجنس المولود مثل التخلف العقلي مثلاً. إذ من المعروف أن هناك أمراضاً وراثية لا تصيب إلا الذكور فقط وتنتقل إليهم جيلاً بعد جيل عن طريق الأمهات اللائي يحملن الجينات المصابة دون أن يصبن بالمرض!!، ومن أمثلة هؤلاء النساء الملكة فيكتوريا، إحدى الملكات السابقة لبريطانيا. ومن ثم كانت محاولات العلماء اختيار جنس الجنين لضمان عدم إصابته ببعض الأمراض التي تصيب الذكور مثل الهيموفيليا والأنيميا والتخلف العقلي ونقص التغذية؛ وبالتالي يمكن تجنب إنجاب أطفال معوقين بسبب الأمراض الوراثية. كما يمكن تجنب عمليات إجهاض النساء اللائي يحملن في أرحامهن أجنة ذكرية مصابة. إذ أن ذلك يتطلب تكرار حالات الحمل للمرأة والكشف عن جنس الجنين بعد ذلك في الرحم والتي لا يمكن إجراؤها قبل أربعة أشهر على الأقل

وبالتالي يضطر النساء إلى اللجوء إلى عمليات الإجهاض المتكرر إلى أن تحصل على أنثى في رحمها!!. إذ أن الاختبارات والفحوصات المعملية تعزل هذه الخلايا ولا تعاد للرحم أو تزرع فيه سوى الخلية الأنثوية السليمة.

وفي النهاية يمكن القول بأن المقارنة بين النتائج السلبية الكبيرة المحققة والنتائج الإيجابية البسيطة المحتملة توضح أن محاولات التحكم في جنس الجنين سيكون لها مردود سلبي في الغالب الأعم إذ أن إثم ذلك سيكون أكبر كثيراً من نفعه، ومعروف فقهياً أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح. وعجيب أمر هذا الإنسان الذي كثيراً ما ينسى حكمة الله الخالق المصور في تدبير شئون ملكوته فيحاول التدخل في ما لا ينبغي له التدخل فيه فيفسد دنياه وآخرته، ونسى أن ما يختاره الله له هو الخير.. ولم لا والله تعالى يقول: ***(وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ)***[1]. فلماذا لا يترك الإنسان أمور الخلق لله وأن يقنع بما يرزقه الله له من أبناء ولا يحاول من جانبه التحكم في جنس الجنين لأن ما يفعله الله خيراً له.. ألم يقل سبحانه وتعالى: ***(تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِنْ ذَلِكَ)***[2].. أليس في تدخل الإنسان في ما لا ينبغي له فيه إفساد كبير.. ألا ينطبق ذلك على مراد الله تعالى من قوله: ***(ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)***[3]

---

(١) سورة البقرة، بالآية ٢١٦.

(٢) سورة الفرقان، بالآية ١٠.

(٣) سورة الروم، الآية ٤١.

ما تدري نفس ماذا تكسب غداً؟

What it is that one will earn on the morrow?

مفهوم الغيب في الكسب المستقبلي.

والغيبية الرابعة التي احتفظ الله سبحانه وتعالى بها لذاته العلية هي علم ماذا تكسب النفس غداً[1]. فالله سبحانه وتعالى ينفرد دون أحد من خلقه بمعرفة كسب كل نفس في المستقبل سواء كان هذا المستقبل قريباً أو بعيداً.

ويقصد بكسب كل نفس ليس فقط كسب الرزق كما يشاع وإنما يقصد بذلك الكسب بصفة عامة سواء كان هذا الكسب مالاً مادياً أو عينيا أو عملاً خيرا أو شراً. إذ وردت كلمة الكسب في القرآن الكريم بعدة معان منها كسب المال ومن ذلك قوله تعالى: (***يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ***)[2] وقوله تعالى: (***لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ***)[3]. كذلك وردت كلمة الكسب في القرآن الكريم أيضاً بمعنى عمل الإنسان في الحياة الدنيا سواء كان خيراً أو شراً ومن ذلك قوله تعالى: (***تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ***)[4]، وكذلك قوله تعالى: (***لِيَجْزِيَ قَوْماً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ***)[5].

---

(١) جاء في تفسير معاني القرآن الكريم السابق لعبد الله يوسف علي ص ١٠٩٠:
"Earn here as elsewhere, means not only earn one's livelihood" in a physical sense, but also to reap the consequences (good or ill) of ones conduct generally. The whole sentence practically means: "no man knows what the morrow may bring forth".

(٢) سورة البقرة، بالآية ٢٦٧.

(٣) سورة النساء، بالآية ٣٢.

(٤) سورة البقرة، بالآية ١٣٤.

(٥) سورة الجاثية، بالآية ١٤.

يتبين من الآيات الكريمة السابقة أن الله سبحانه وتعالى قد انفرد دون أحد من خلقه بعلم الغيب المتعلق بما تكسب كل نفس في المستقبل. وطبيعي أن الأمر بالنسبة لله سبحانه وتعالى لا يقتصر على علم ما تكسب كل نفس في المستقبل وإنما يشتمل كذلك على علم ما كسبت وتكسب كل نفس في جميع الأزمنة في الماضي وفي الحاضر وفي المستقبل، وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى: (*يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ*)[1]. أي أن الله سبحانه وتعالى يعلم أسرار عباده وجهرها وما تكسبه وهذا يشتمل على ما كسبت في الماضي وما تكسب في الحاضر وما ستكسبه في المستقبل. إذ أن السر والجهر يشتمل على كل أمورهم في الماضي والحاضر من كسب وغيره كما أن تعبير (*وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ*) يشتمل على علم ما تكسب العباد في الحاضر كما يشتمل على علم ما ستكسبه في المستقبل، إذ أن الله سبحانه وتعالى لم يحدد زمان التكسب بالحاضر فقط فيكون التكسب على إطلاقه في الحاضر والمستقبل لأن الله جل وعلا عندما أراد أن يوضح بأن التكسب في المستقبل قد حدد هذا الزمن بقوله تعالى (غداً) في الآية السابقة بسورة لقمان إذ قال تعالى: (*وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا*)[2]. وواضح أن الإعجاز الإلهي بعلم الغيب في هذا الأمر يتمثل في علم ما تكسب كل نفس في المستقبل؛ لأن ما كسبته وتكسبه كل نفس في الماضي والحاضر غالباً ما تعرفه كل نفس ولا يخفى عليها إلا ما يمكن أن تكسبه في المستقبل.

حكمة إخفاء الله الكسب المستقبلي.

وتتجلى الحكمة الإلهية في تفرده سبحانه وتعالى بعلم ما تكسب كل نفس في المستقبل في النقطتين التاليتين:

---

(١) سورة الأنعام، بالآية ٣.

(٢) سورة لقمان، بالآية ٣٤.

ولعله من الحكم الإلهية الجليلة لإخفائه سبحانه وتعالى علم ما تكسب كل نفس في المستقبل وتفرده بعلم ذلك دون خلقه حث جميع العباد على تقواه جل وعلا والعمل على رضاه. إذ أن جهل الإنسان برزقه في المستقبل يجعله دائم الاتصال بربه يلبي أوامره ويجتنب نواهيه ليزيد رزقه، ولم لا وقد قال الله سبحانه وتعالى في محكم آياته: (***وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ***)(١). وواضح من هاتين الآيتين الكريمتين العلاقة بين تقوى الله سبحانه وتعالى وتيسير الأمور والرزق من أسباب لا يتوقعها الإنسان ولا تدور في خلده. كذلك تؤكد هاتان الآيتان ما سبق أن تأكد من أن أحداً لا يعرف رزقه. كذلك قال تعالى: (***وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ***)(٢). وتؤكد هذه الآية ما سبق أن تأكد من العلاقة بين تقوى الله والرزق والبركة. وليس أدل على العلاقة بين تقوى الله والسير على هداه وبين الرزق مما جاء في القرآن الكريم من قصة مريم بنت عمران عليها السلام؛ إذ قال الله سبحانه وتعالى في محكم آياته: (***كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ***)(٣). فواضح لمن يتدبر سورة آل عمران في هذا الشأن أن تقوى الطاهرة مريم ***عليها السلام*** لربها وتسليمها لأمره الكريم كان مدعاة لأن يتقبلها ربها بقبول حسن وبأن يرزقها بغير حساب. كذلك يتبين من نفس الآية أن أحداً من خلق الله لا يمكنه تقدير رزقه؛ إذ أن رزق الله الرازق يأتي لمن يشاء سبحانه وتعالى بصرف النظر عن الاعتبارات البشرية لكسب الرزق وحساباتهم وتوقعاتهم.

---

(١) سورة الطلاق، بالآيتين ٢، ٣.

(٢) سورة الأعراف، بالآية ٩٦.

(٣) سورة آل عمران، بالآية ٣٧.

بـ الحث على الأخذ بالأسباب.

ودعما لقاعدة إلهية هامة هي ضرورة الأخذ بالأسباب جاء انفراد الله سبحانه وتعالى بغيب كسب الرزق في المستقبل لكل إنسان وإخفاء ذلك على جميع خلقه... فما تدري نفس ماذا تكسب غداً؟!!. ففي هذا النوع من الغيب حَثٌ للعباد على العمل والاجتهاد وطلب الرزق بطريق حلال. فالإنسان الذي يدري على وجه اليقين ماذا سيكسب غداً لن يكلف نفسه مشقة العمل في الغد، بصرف النظر عما إذا كان كسبه غداً سيكون كثيراً أو قليلاً. وفي النهاية سيُقتل في الأفراد حب العمل وتتعطل حركته في الحياة، وفي هذا نهاية ودمار لكل شيء.

وعلى العكس من ذلك، فإخفاء الله سبحانه وتعالى رزق عباده عنهم فيه دعم للأخذ بالأسباب ودفع لحركة العمل والإنتاج في المجتمع وتشجيعاً للأفراد على التوكل على الله ونبذ التواكل.

ولقد ادعى البعض في الآونة الأخيرة أنه يمكن معرفة كسب الإنسان المادي في المستقبل بإجراء حسابات دقيقة عن القيمة المتوقعة للإيرادات المختلفة The expected value for the different revenues باستخدام الحاسبات الإلكترونية الدقيقة، ومن ثم فقد تصوروا إمكانية كشف الإنسان لهذا الغيب. وفيما يلي تفنيد لهذا الإدعاء في النقاط الثلاث التالية:

١. إن ما جاء في آية الغيبيات الخمس بسورة لقمان متعلقاً بالكسب المستقبلي لا يختص بالإنسان وحده وإنما يختص بكل نفس، سواء كانت هذه النفس لإنسان أو جان أو حتى حيوان، وهذا واضح من قوله تعالى: (*وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا*)(*). فأين إذن العلم البشري من كل هذا العلم؟!!. أبعد ذلك يمكن لإنسان أن يدعي التوصل إلى علم ماذا تكسب كل نفس في المستقبل؟

(*) سورة لقمان، بالآية ٣٤.

٢. أن الكسب المستقبلي لكل نفس لا يقتصر فقط على الكسب المادي كما سبق إيضاحه، وإنما يشتمل على الكسب المادي والكسب الروحي من خير أو شر، فأين العلم البشري من كل هذا العلم؟!!.

٣. حتى بالنسبة للكسب المادي المستقبلي للإنسان فإن أحداً لا يمكنه تقديره ومعرفته على نحو يقين. فكثيراً ما تشير الدلائل القوية إلى احتمال كسب مبلغ معين من صفقة معينة في المستقبل إلا أن المستقبل يأتي بعكس ما كان متوقعاً.. فالحاسبات الآلية لا يمكنها التنبؤ بالغيب المستقبلي وإنما كل ما تفعله هو أنها تحاول استقراء المستقبل على ضوء المعلومات التي يمدها به الإنسان. وفي هذا الصدد ينبغي التنويه إلى أن العقل البشري الذي خلقه الله الخالق المبدع أكثر ذكاءً بكثير من العقل الإلكتروني الذي صنعه الإنسان. وهذا أمر بديهي لأن العقل الإلكتروني هو نتاج العقل البشري وبالتالي فذكاء هذا العقل الاسطناعي جزء من ذكاء العقل البشري. وإذا كان العقل البشري بكل ما وضع فيه الله عز وجل من قدرة وطاقة وذكاء لا يمكنه معرفة الغيب فما بال العقل الإلكتروني الاسطناعي. إن الحاسبات الإلكترونية التي يعول عليها البعض في حساب الرزق المستقبلي المتوقع للإنسان لا تفعل أكثر من التنبؤ وفقاً للمقاييس التي وضعها هذا الإنسان. فالعلاقات الاقتصادية القياسية التي أودعها الإنسان ذاكرة الحاسب الآلي تتعلق ببعض المؤشرات المستقاة مما كان في الماضي وما هو كائن في الحاضر. ويفترض الإنسان أنه بهذه المعلومات يمكنه معرفة ما سيحدث في المستقبل على أساس أن هذا المستقبل هو نتاج لتفاعل الماضي مع الحاضر. وعلى الرغم من أن هذا الافتراض منطقيٌ ومقبول إلى حد كبير إلا أن المستقبل كثيراً ما لا يأتي متفاعلاً مع الماضي والحاضر، بل يكون تفاعلاً مستقلاً بذاته لا نتوقعه ولا نفهمه. إن دراسات وتوقعات الحاسبات الإلكترونية لا تعدو أن تكون علامات ودلائل لاحتمالات كسب الإنسان في المستقبل، أي أنها علامات لهذا الغيب وليست الغيب ذاته.

وكما سبق القول فإن الله سبحانه وتعالى يعطي عباده بعض علامات الغيب لحكم كثيرة لصالح هؤلاء العباد وتختلف هذه الحكم باختلاف نوع الغيب. وبالنسبة لمحاولات حساب توقع الكسب المستقبلي لإنسان ما أو لمجموعة من البشر، فإن توفيق الله لعباده باستخدام طرق علمية معينة لمحاولة حساب الأرباح المتوقعة يعتبر أمراً محموداً بل واجباً من منطلق حث الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ المسلمين على العلم والتعلم لتحقيق مصالحهم الدنيوية في حدود ما أمر الله به. وكون الإنسان يحاول حساب العائد المتوقع له من مشروع معين أو صفقة معينة فإن هذا يعتبر أمراً مرغوباً فيه، لأن ذلك يجعله يختار على نحو أفضل من بين البدائل المتاحة أمامه البديل الأكثر كفاءة له ولمجتمعه، والله سبحانه وتعالى يريد صالح عباده، كما يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر. كما أن تحديد العوائد المتوقعة من شأنه جعل المستثمر المسلم في وضع المستعد لتقبل وضع مالي معين في المستقبل فيعد له العدة مبكراً.

وتجدر الإشارة إلى أنه على الرغم من أن محاولة الإنسان حساب الأرباح المستقبلية المتوقعة لاستثماره يعتبر أمراً مرغوباً فيه بل مطلوباً، إلا أن هذا لا يتنافى مطلقاً مع احتفاظ الله سبحانه وتعالى بعلم الغيب المتعلق بماذا تكسب كل نفس في المستقبل، لأن ما يعرفه الإنسان بطرقه الخاصة مجرد علامات لهذا الغيب. وطالما أن الإنسان يعلم جيداً أن ما يحسبه مجرد توقعات وليس بالضرورة نتائج نهائية فإن هذا لا يتعارض مع حث الإنسان على تقوى الله لأنه يعرف جيداً أن هذه التوقعات لكي تصير حقيقة تحتاج إلى توفيق الله. وأن توفيق الله عز وجل ربما يضاعف هذه الأرباح المتوقعة!! كما أن عدم تقوى الإنسان لربه وعدم إخلاصه لدينه ربما يغلق في وجهه كل فرص الكسب لعدم توفيق الله له، فيحدث ما لم يكن متوقعاً، أو ما لم يكن في الحسبان. كما أن حساب الإنسان للتوقعات المستقبلية لعوائد استثماراته وأنشطته لا يتعارض مع حكمة الله سبحانه وتعالى في حث عباده على الأخذ بالأسباب؛ لأن الإنسان يعلم

أن هذه التوقعات ليست نهائية وينبغي السعي والعمل باجتهاد لكي تتحقق هذه التوقعات أو أفضل منها.

أمثلة من القرآن الكريم توضح عدم معرفة البشر ماذا يكسبون غداً:

فيما يلي أمثلة من القرآن الكريم توضح عدم معرفة البشر ماذا يكسبون غداً.

أ - مثال من قصة أصحاب الجنة:

ومن أمثلة عدم معرفة الإنسان ماذا يكسب غداً، ما ورد في القرآن الكريم عن أصحاب الجنة[1]. فقد كان لهم بستان يشتمل على أنواع الثمار والفاكهة، فأقسموا فيما بينهم ليجمعون ثمارها ليلاً لئلا يعلم بهم فقير ولا سائل ليتوفر ثمرها عليهم ولا يتصدقوا منه بشيء؛ ولذا حنثهم الله في إيمانهم فأصابها آفة سماوية فأصبحت هشيما يبساً وقد حرموا من خير جنتهم بتدنيهم وفي هذا يقول الله تعالى: (***إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ* وَلا يَسْتَثْنُونَ* فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ* فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ* فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ* أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ* فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ* أَنْ لا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ* وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ* فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ* بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ***)[2].

ب - مثال من قصة رجلين لأحدهما جنتان:

وفحوى هذه القصة ومدلولها في هذا السياق هو أن الله الوهاب قد جعل لرجل جنتين غنيتين بثمارهما من الأعناب والنخيل وبالماء العذب. لكن هذا

(١) ابن كثير: إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء الرابع، مرجع سابق، ص ص ٤٠٦-٤٠٧.

(٢) سورة القلم، الآيات من ١٧ إلى ٢٧.

الرجل لم يكن عبداً شاكراً لله على ذلك بل أخذ يتعالى على صاحبه بما وهبه الله من مال ورجال ولم يحمد الله وتصور أن عطاء الله له مستمر وأن كسبه منها لن ينتهي أبداً. وتدنى جحود هذا الرجل وكفره بنعمة ربه إلى أن أنكر قيام الساعة وراح يمني نفسه بأنه حتى وإن قامت الساعة سوف يجد أفضل من هاتين الجنتين، أي أنه يضمن رزقه الحالي ورزقه المستقبلي ليس في الدنيا فقط، بل وفي الآخرة أيضاً!!. إلا أن صاحبه ذكّره بالله الذي خلقه وسوّاه وقال له أنه لن يحذو حذوه لأنه مؤمن بالله وأنه وإن كان أقل منه مالاً ورجالاً إلا أنه يأمل أن يؤتيه ربه خيراً منه فيزيد رزقه وكسبه، بل لعل الله يدمر جنته أو يمنع عنها الماء. وهذا ما فعله الله بالفعل فحزن الرجل على ذلك حزناً شديداً وندم على كفره ونكرانه. وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً* كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَراً* وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً* وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً* وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنْقَلَباً* قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً* لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً* وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالاً وَوَلَداً* فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً* أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْراً فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً* وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً﴾ (*).

(*) سورة الكهف، الآيات من ٣٢ إلى ٤٢.

وتوضح هاتان القصتان أن الرزق كله بيد الله وأنـــه لا أحـــد يســـتطيع معرفة رزقه المستقبلي، حتى وإن كانت الدلائل مؤكدة ومهما كانـــت الأســـباب متوافرة.

فقد يذنب العبد ذنباً يحرم به رزقاً كان قد هيئ له. فقد قـــال رســـول الله ﷺ "أن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه"[١].

كذلك قد يكتب الله أسباب الرزق للعباد لإيمانهم وتقواهم وفي ذلك يقـــول الله تعالى: ﴿ *وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَـدَقًا* ﴾[٢]. ومـــراد الله بذلك أنه لو استقام العباد على طريقة الإسلام واستمروا عليهـــا لـــوفر لهـــم الله الرزاق الماء الكثير، أي أن الله تعالى يزيدهم سعة في الرزق. ويدل ذلك علـــى أن الرزق المستقبلي كله بيد الله وأن الإنسان لا يستطيع تحديـــده مهمـــا حـــاول ومهما توافرت له الأدلة والشواهد.

السنة الشريفة تطبيق للقرآن الكريم في عدم معرفة الكسب المستقبلي:

والسنة الشريفة تعتبر تطبيقاً فعلياً لحقيقة أن الكسب المستقبلي لا يمكـــن للبشر تحديده، فقد نهى رسول الله ﷺ عن بعض بيوع المقايضة التي تنطـــوي عل غرر وجهالة تفسدها، والتي تتضمن استبدال سلعة حالية معينة محددة الكمية والقيمة بأخرى لا يمكن تحديد قدرها أو قيمتها إلا بعد مرور فترة معينـــة فـــي المستقبل. فقد يأتي المستقبل بأقل أو أكبر من الكمية و/أو القيمة المتوقعة فيأكـــل الناس أموال بعضهم البعض بالباطل.ومن هذه البيوع التي نهى رســـول الله ﷺ عنها بيوع المخاضرة والمحاقلة.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند بسنده إلى ثوبان ـ مسند الإمـــام أحمـــد، حـــديث رقـــم ٢١٤٠٢. وأخرجه الإمام ابن ماجه بسننه (المقدمة)، حديث رقم ٨٧.

(٢) سورة الجن، الآية ١٦.

والمخاضرة أحد أنواع البيوع والتي فيها يتبايع البائعان شيئاً أخضر وهو بيع الثمار بالحبوب خضراء لم يبد صلاحها.

ولقد نهى الرسول ﷺ عن بيع الثمار خضراء لم يبد صلاحها فعن قتيبة عن إسماعيل بن جعفر عن حمد عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ نهى عن بيع ثمر التمر حتى يزهو فقلنا لأنس ما زهوها فقال: تحمر أو تصفر، أرأيت إن منع الله الثمرة بم تستحل مال أخيك[1].

وعلى ذلك لا يحل بيع الثمار على أشجارها قبل أن يظهر صلاحها وتأمن من الآفات والأمراض وتأمن التقلبات الجوية.

والمحاقلة هي بيع الحنطة في الحقل على السنابل غير معلوم وزنها بحنطة خالصة معلوم وزنها.

كذلك نهى الرسول ﷺ عن بيع الحنطة في سنبلها بكيل معلوم من الحنطة الخالصة وهو ما يعرف بالمحاقلة. فعن إسحاق بن وهب أن عمر ابن يونس قال: حدثني أبي قال حدثني إسحاق بن أبي طلحة الأنصاري عن أنس ابن مالك رضي الله عنه أنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن المحاقلة والمخاضره[2].

ويرجع سبب تحريم هذا النوع من البيوع إلى ما يكتنفه من غرر وجهالة تفسده. فإذا ما استبدل وزن معين معلوم من قمح أو شعير بمقدار معين من الحنطة وهي لا تزال على سنابلها في الحقل يكون المبيع معلوماً وزنه وبالتالي معلوماً قيمته على نحو دقيق، في الوقت الذي لا يمكن فيه تحديد وزن أو قيمة عوضه بنفس الدقة

---

(١) انظر: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري بحاشية السندي، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، مكتبة زهران، القاهرة، ص ٣٤.

(٢) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري بحاشية السندي، مرجع سابق، ص ٣٤.

لأنه لا أحد يضمن الكسب المستقبلي. إذ أن الحنطة قد تجف كثيراً فيقل وزنها، كما قد تتلف على السنابل لمرض يصيبها كصدأ القمح مثلاً، كما قد تتخطفها الطير. كذلك فهناك احتمال أن يصادف المحصول ظروف جوية مواتية تزيد كثيراً من وزنه أو ترفع كثيراً من جودته وبالتالي تزيد قيمته كثيراً عن ما كان مقدراً لها.

وقد اعتبرت هذه الأنواع من بيوع الحاصلات الزراعية نباتية كانت أم حيوانية أحد أنواع الميسر المنهي عنه شرعاً. إذ أنها تنطوي على غرر وجهالة تفسدها، كما أنها من بيوع المقايضة التي لا يلزم استبدال سلعة معينة بأخرى مساوية لها في القيمة، بل قد تكون قيمة العوض في المستقبل أقل أو أكثر من قيمة المبيع الحالي.

وواضح أن جميع هذه البيوع السابقة ومثلها ما هي إلا حالات مختلفة يتفق جميعها على استبدال سلعة أو محصول معين معروف قيمته بآخر من جنسه مجهول القيمة يتم تسلمه في المستقبل، لذا فإن احتمال خسارة أحد الأطراف جزءاً من قيمة ما يملك لصالح آخرين، أو أن يستولى بعضاً من قيمة ما يملك الآخرون دون وجه حق أمراً وارداً بل وشديد الاحتمال(*).

ويعتبر نهي رسول الله ﷺ عن هذه البيوع تطبيقاً فعلياً لقوله تعالى: (***وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا***) ولم لا فالسنة تُفسر القرآن وتطبقه!!!.

(*) دكتور/ أمين عبد العزيز منتصر، الإعجاز الاقتصادي .... المُيَسَّر في تحريم المَيْسِر، جامعة الأزهر، كلية الزراعة، قسم الاقتصاد الزراعي، القاهرة، ١٤١١هـ: ١٩٩١م. ص.ص ٨٩ – ٩٢.

ما تدري نفس بأي أرض تموت؟

In what land one is to die?

مفهوم الغيب في مكان الموت.

ويقصد بهذه الغيبية انفراد الله سبحانه وتعالى بمعرفة مكان موت أيّاً من عباده وعدم اطلاع العباد على ذلك. وتعتبر هذه الغيبية كـذلك بالغـة الأهميـة ومكملة للغيبية الأولى المتعلقة بميعاد قيام الساعة.

حكمة إخفاء الله مكان الموت.

وتتجلى حكمة الله عز وجل في إخفاء مكان موت عباده عنهم في النقاط الخمس التالية:

أ – حث العباد على كسب الرزق حيثما وجد.

وتتمثل حكمة الله سبحانه وتعالى في إخفاء مكان موت عباده عنهم فـي إتاحة الحرية لهم في التحرك والتنقل في أرض الله الواسعة كسـباً للـرزق دون قيود وهذا يتفق مع قوله تعالى: (***فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ***)(*)، كمـا أنه يدعم مبدأ الأخذ بالأسباب. فلو أطْلَعَ الله عز وجل أحداً من عباده على مكان موته، فسيرفض هذا الإنسان رفضاً قاطعاً الذهاب إلى هذا المكان طيلـة حياتـه خوفاً من أن يلقى منيته فيه، وقد يكون في هذا المكان فرصة مواتية له لكسـب عيشه، وفي هذه الحالة سيعيش الفرد في صراع بين رزقه وأجله وهـو مـا لا يرضاه الله لعباده.

ب- حث العباد على التنقل للتأمل.

كذلك تتمثل حكمة الله سبحانه وتعالى في إخفاء مكان موت عباده عـنهم في إتاحة الحرية لهم للتنقل في الأرض والتأمل في قدرة الله دون الخـوف مـن الانتقال إلى مكان معين تجنباً للموت. وهذا يتفق مع ما يحثنا الله سبحانه وتعالى

(*) سورة الملك، بالآية ١٥.

عليه من السير في شتى أنحاء الأرض لدراسة قصة الخلق، وذلك من خلال فحص الحفريات المختلفة نباتية وحيوانية ومن خلال فحص طبقات الأرض والجبال والتي منها جُدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود، وكذا من خلال دراسة المحيطات والبحار والأنهار للوقوف على بعض حكم الله الحكيم في خلقه وهذا ما أمرنا الله سبحانه وتعالى في قوله: ***(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ)***(١).

كذلك فإن إخفاء الله سبحانه وتعالى مكان موت عباده عنهم يتيح لهم التنقل بحرية لينظروا عاقبة المجرمين السابقين وليعلموا أن الله العزيز الجبار قادر دائماً على عقابهم مهما كانوا عتاة جبارين ومهما كانوا أشد بأساً، وهذا ما جاء في قوله تعالى: ***(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ)***(٢).

ج- حث العباد على التنقل للتعاون.

كذلك أليس في إخفاء الله سبحانه وتعالى عن عباده مكان موتهم يتيح لهم التنقل والتعارف فيما بينهم كشعوب وقبائل مما يسهل نقل المعرفة ودعم التعاون فيما بينهم وفق ما جاء في قوله تعالى: ***(وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا)***(٣).

د- حث العباد على التنقل للتعبد.

وفي نفس الوقت فإن إخفاء الله سبحانه وتعالى مكان موت عباده عنهم يتيح لهم حرية التنقل للتعبد. فلو تصورنا أن إنساناً ما يعرف أنه سيموت ببلاد الحجاز مثلاً... ألا يتردد هذا الإنسان كثيراً في شد الرحال إلى الأراضي المقدسة للحج؟!!.. ألا يعيش هذا الإنسان صراعاً بين أجله وتوبته؟!!.

(١) سورة العنكبوت، بالآية ٢٠.
(٢) سورة النمل، الآية ٦٩.
(٣) سورة الحجرات، بالآية ١٣.

هـ ـ حث العباد على التنقل بمختلف الوسائل المتاحة .

وأخيراً فإن في إخفاء الله سبحانه وتعالى عن عباده مكان موتهم يتضمن إخفاء لوسيلة الانتقال التي سيموتون بها، لو قدر لأحدهم الموت في إحدى هذه الوسائل، مما يتيح لهم حرية استخدام وسائل الانتقال المختلفة سواء كان الانتقال بالبر أو على ظهر سفينة أو على متن طائرة دون أن يخاف أحدهم من أن يلقى حتفه أثناء السفر، وهذا من شأنه تدعيم إمكانية الاستفادة من التقدم العلمي الهائل في وسائل النقل الذي يهبه الله لعباده باستمرار.

أمثلة من القرآن الكريم توضح عدم معرفة البشر بأي أرض يموتون:

وفيما يلي بعض الأمثلة من القرآن الكريم توضح عدم معرفة البشر بأي أرض يموتون:

أ ـ مثال من قصة إدريس عليه السلام:

ولعل خير مثال على إخفاء الله عن عباده بأي أرض أو بأي مكان يموتون ما حدث مع نبيه إدريس عليه السلام. فقد أوحى الله إليه: إني أرفع لك كل يوم مثل جميع عمل بني آدم (من أهل زمانه). فأحب أن يزداد عملاً، فأتاه خليل له من الملائكة فقال له: إن الله أوحى إلى كذا وكذا فكلم ملك الموت حتى ازداد عملاً، فحمله الملاك بين جناحيه ثم صعد به إلى السماء، فلما كانا في السماء الرابعة تلقاه ملك الموت منحدراً، فكلم الملاك ملك الموت في الذي كلمه فيه إدريس عليه السلام، فقال: وأين إدريس؟ قال هو ذا على ظهري، فقال ملك الموت: يا للعجب .. بعثت وقيل لي اقبض روح إدريس في السماء الرابعة، فجعلت أقول: كيف أقبض روحه في السماء الرابعة وهو في الأرض؟! فقبض روحه هناك[1] وهذا هو المراد من قول الله عز وجل: (*وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا*)[2] وتدل هذه

---

(١) إسماعيل بن كثير، قصص الأنبياء، مرجع سابق، ص٦٠.

(٢) سورة مريم، الآية ٥٧.

الواقعة على أن أحداً من عباد الله لا يعرف أين سيموت في أي بقعة في الأرض أو في أي سماء، إن أنبياء الله لا يعرفون هذا الغيب رحمة من الله بهم وبعباده.

ب – مثال من قصة موسى عليه السلام وفرعون:

وفي قصة نجاة نبي الله موسى عليه السلام وبني إسرائيل من ناحية وهلاك فرعون وجنوده من ناحية أخرى أمر عجب[١] فقد نجا من الغرق في اليم من ظن أنه مدرك وهالك، وهلك في اليم من ظن أنه الأعلا والمنتصر. ويمثل هذا تطبيقاً فعلياً لقوله تعالى: (***وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ***)[٢]. فقد خرج موسى عليه السلام وقوم بني إسرائيل ليلاً هروباً من فرعون وجنوده طالبين بلاد الشام. فلما علم فرعون بذلك غضب عليهم غضباً شديداً وجمع جنوده على عجل ليلحق بهم ويمحقهم وأخذ يقفو أثرهم فلحق بهم وأدركهم عند شروق الشمس. وتراءى الجمعان ولم يبق إلا الحرب والقتال وعندها قال أصحاب موسى عليه السلام وهم خائفون: (***إِنَّا لَمُدْرَكُونَ***)[٣] وذلك لأنه لم يكن أمامهم سوى البحر حيث لا طريق ولا محيد إلا سلوكه وخوضه، وهذا ما لا يستطيعه أحد ولا يقدر عليه آنذاك، خاصة وأن الجبال كانت عن يسرتهم وعن أيمانهم وهي شاهقة منيعة وفرعون قد غالقهم وواجههم وعاينوه في جنوده وجيوشه عدداً وعدة وهم منه في غاية الخوف والذعر، لهروبهم منه ولما قاسوا في سلطانه من الإهانة والمكر، وهنا ظن بنو إسرائيل أنهم سيقتلون حتماً في هذا المكان.

إلا أن الله القادر لم يكن قد قدر لهم ذلك، فأوحى العليم العظيم رب العرش الكريم إلى موسى عليه السلام ما جاء في قوله تعالى: (***فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى***

---

(١) إسماعيل بن كثير، قصص الأنبياء، مرجع سابق، ص.ص ٣٤٨-٣٥٧.

(٢) سورة لقمان، بالآية ٣٤.

(٣) سورة الشعراء، بالآية ٦١.

أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ)[1] فضرب موسى عليه السلام البحر بعصاه فأصبح ماء البحر قائماً مثل الجبال، وأمر الله الريح فلفحت طين البحر فسار يابساً، لا يعلق في سنابك الخيول والدواب، وأمر الله موسى عليه السلام أن يجتاز البحر ببني إسرائيل فجاوزوه وانفصلوا عنه ونجوا جميعاً على غير ما كانوا يتوقعون وينتظرون.

حدث ذلك عند وصول مقدمة جيش فرعون إلى اليم فأراد موسى عليه السلام أن يضرب البحر بعصاه ليعود إلى ما كان عليه فلا يصل إليهم فرعون وجنوده فأمره الله القدير أن يترك البحر على هذا الحال كما جاء في قوله تعالى: ***(وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْواً إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ)***[2] ولما رأى فرعون ما رأى هاله ما حدث وتأكد أن ما حدث هو فعل رب العرش الكريم، فأحجم ولم يتقدم وندم في نفسه على خروجه في طلب موسى وبني إسرائيل، إلا أن جبريل عليه السلام ظهر في صورة فارس راكب على فرسة لم تلقح بعد، ومر بين فحل فرعون الملعون، فحمحم إليها وأقبل عليها، وأسرع جبريل عليه السلام بين يديه فاقتحم البحر، واستبق الجواد فبادر مسرعاً وفرعون لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّا فلما رأته الجنود وقد سلك البحر اقتحموه وراءه مسرعين فأصبحوا في البحر جميعاً، ولما هَمَّ أولهم بالخروج منه، أمر الله تعالى كليمه موسى عليه السلام فيما أوحاه إليه أن يضرب بعصاه البحر فضربه فانطبق عليهم البحر كما كان فلم ينج منهم أحد. وهذا ما أوضحه الله تعالى بقوله: ***(وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ* ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ* إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ***

(١) سورة الشعراء، الآية ٦٣.

(٢) سورة الدخان، الآية ٢٤.

أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ* وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) (١)، ولقد كان هذا الحدث واقعة حقيقية تؤكد أنه لا أحد يدري بأي أرض يموت!!!.

حـ- مثال من أحوال المنافقين بالمدينة المنورة:

ولقد أوضح الله المحيي المميت للمنافقين الذين كانوا يخشون القتال مع رسول الله ﷺ كي لا يصيبهم الموت، وأن الموت حتماً سيدرك جميع العباد، وفي أي مكان مهما اتخذوا من أسباب الحماية والمنعة. فمن يتصور أنه اتخذ لنفسه برجاً مشيداً منيعاً سيحميه من الموت بداخله فهو واهم. فإذا ما قدر الله أن يكون هذا البرج هو مكان موته فسيكون كذلك مهما كان هذا الشخص مطمئناً إلى حياته وسلامته في هذا المكان(٢). ولقد ورد هذا المعنى في قوله تعالى: ***(أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ)*** (٣) وإذا لم يكن هذا البرج المشيد مكان موت هذا الشخص وحان موعد موته الذي قدره الله له في مكان آخر فسوف يخرج هذا الشخص من برجه ويذهب إلى مكان موته دون أن يدري وطواعية لتوافيه منيته هناك. ولقد ورد هذا المعنى في قوله تعالى: ***(قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ)*** (٤).

مثال من سيرة خالد بن الوليد:

وفي وفاة سيف الله المسلول خالد بن الوليد مثال واضح على أن أحداً لا يدري بأي أرض يموت. فقد غزا هذا البطل المغوار قبل إسلامه وبعد إسلامه العديد من الغزوات في بلدان عديدة، وأماكن كثيرة قريبة وبعيدة، توقع في كل

---

(١) سورة الشعراء، الآيات من ٦٥ إلى ٦٨.

(٢) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، سورة آل عمران والنساء، الجزء الثاني، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الملك عبد العزيز، مكة المكرمة، ص.ص ٢٢٠-٢٢١.

(٣) سورة النساء، بالآية ٧٨.

(٤) سورة آل عمران، بالآية ١٥٤.

منها أن يلقى حتفه أو يستشهد، إلا أنه مع ذلك ومع كثرة ما أصابه من طعنـات ورميات وضربات لم ينل الشهادة بل مات على فراشه كمن لم يغزو في حياتـه قط... مات خالد بن الوليد على فراشه حيث لم يكن يتوقع، وقال قولته المشهورة "لقد شهدت كذا، وكذا زحفاً، وما في جسدي موضع إلا وفيه ضربة سـيف، أو طعنة رمح، أو رمية سهم... ثم ها أنذا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء"(*).

وفي الختام، أرجو أن أكون قد قصدت ببحثي المتواضع هـذا وجـه الله الكريم، إنه سبحانه وتعالى ربنا ومولانا، وهو جل شأنه الأول والآخر والظاهر والباطن.

تم بحمد الله

(*) خالد محمد خالد، رجال حول الرسول، دار ثابت، القاهرة، ص. ص ٣٠٥-٣٠٦.

المراجع*

١- القرآن الكريم.

٢- البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري بحاشية السندي، مطبعة دار أحياء الكتب العربية، مكتبة زهران، القاهرة.

٣- الحاكم: أبو عبد الله بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، مطابع النصر الحديثة، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٤- خالد: الدكتور خالد محمد خالد، خلفاء الرسول، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، عام ١٤٠١هـ: ١٩٨١م.

٥- ---------: رجال حول الرسول، دار ثابت، القاهرة.

٦- الخطابي: ابن سليمان حمد بن محمد الخطابي، أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، تحقيق ودراسة الدكتور/ محمد بن سعد ابن عبد الرحمن آل سعود، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مركز إحياء التراث الإسلامي، من التراث الإسلامي، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٩هـ: ١٩٨٨م.

٧- خان: وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى... مدخل علمي إلى الإيمان، ترجمة ظفر الإسلام خان، مراجعة وتقديم دكتور/ عبد الصبور شاهين، المختار الإسلامي، مكتبة القرآن، القاهرة، الطبعة السادس، عام ١٩٧٦م.

٨- السفاريني: العلامة السفاريني، من علامات القيامة الكبرى. المسيخ الدجال وأسرار الساعة، مكتبة التراث الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، القصر العيني، القاهرة.

(*) يمكن الحصول على أي من هذه المراجع بمكتبة المؤلف(مكتبة الدكتور أمين منتصر)، ومقرها بالدور العاشر بالمكتبة العامة للأزهر الشريف بالدراسة بالقاهرة.

٩- الشعراوي: الشيخ محمد متولي الشعراوي، الغيب، مكتبة الشعراوي الإسلامية، أخبار اليوم، القاهرة، عام ١٩٩٠م.

١٠- الصابوني: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، سورة آل عمران والنساء، الجزء الثاني، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الملك عبد العزيز، مكة المكرمة.

١١- أبو العزائم: دكتور جمال ماضي أبو العزائم، القرآن والصحة النفسية، مؤسسة دار الهلال، الطبعة الأولى، عام ١٤١٤هـ : ١٩٩٤م.

١٢- علي: عبد الله يوسف علي، القرآن الكريم ... تفسير وهوامش، رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية، قطر، ١٩٤٦م.

١٣- الفندي: دكتور محمد جمال الدين، الإسلام وقوانين الوجود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، عام١٩٨٢م.

١٤- ابن كثير: إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

١٥- -----------: قصص الأنبياء، دار التراث العربي للطباعة والنشر، القاهرة.

١٦- المناوي: محمد عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، عام ١٩٧٢م.

١٧- المحلي: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تفسير الجلالين، كتاب الشعب، دار الشعب، القاهرة، عام ١٩٧٠م.

١٨- منتصر: دكتور أمين عبد العزيز منتصر، الإعجاز الاقتصادي .. المُيَسَّر في تحريم المَيْسِر، جامعة الأزهر، كلية الزراعة، قسم الاقتصاد الزراعي، القاهرة، ١٤١١هـ : ١٩٩١م.

١٩- -----------، العلم بما في الأرحام.. القرآن الكريم يحسم الجدل نهائياً، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢٦هـ:٢٠٠٥م.

٢٠-جريدة الأهرام، السنة ١٢٩، العدد ٤٣٠٠٣، ١٦ رجب عام ١٤٢٥هـ : ٤سبتمبر عام ٢٠٠٤م.

٢١----------، السنة ١٢٩ العدد ٤٣٠٣٢، ١٦ شعبان عام ١٤٢٥ : ٣٠ سبتمبر عام ٢٠٠٤م.

22-Michael Deswiet, Jeossrey chamberlain, and Phileit bsnnett, Basic science in obstetrics and Jynecology, The ebitcu churchill, Livingstone, London, UK. P.P 221-223

*****

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة	٥-٧
الفصل الأول	٩-٥٥
علم الغيب	
مفهوم الغيب	١١
لا يعلم الغيب إلا الله.	١٣
أنواع الغيب:	١٣
النوع الأول- الغيب المتعلق بالأشياء المادية.	١٤
النوع الثاني- الغيب المتعلق بالأشياء غير المادية.	١٤
لا يعلم الغيب أحد من العباد في الأرض أو في السماء.	١٥
الله يكشف بعضاً من حجب الغيب بالقرآن الكريم.	١٨
الله يظهر بعض الغيب على يد من يرتضى من عباده.	٢٣
طرق إخبار الله عباده ببعض الغيب:	٢٩
أولاً- الإخبار بالوحي.	٣٠
ثانياً- الإخبار بإرسال رسول.	٣٠
ثالثاً- الإخبار من وراء حجاب.	٣١
رابعاً- الإخبار بالأمر بالأخذ بالأسباب.	٣٢
سمات كشف الله الغيب لمن يرتضى من رسول.	٣٦

الفروق الجوهرية بين علم الله بالغيب وإخبار البشر به: ٣٨

أولاً- علم الله بالغيب علم أزلي بينما علم البشر به علم لاحق. ٤٠

ثانياً- علم الله بالغيب علم أصلي بينما علم البشر به علم فرعي. ٤٠

ثالثاً- علم الله بالغيب علم شامل بينما علم البشر به علم جزئي. ٤١

رابعاً- علم الله بالغيب علم صحيح بينما علم البشر به علم ظني. ٤٥

الفروق الجوهرية بين الغيب وعلامات الغيب. ٤٨

أساليب إظهار الله علامات الغيب: ٥٢

١- الظهور التلقائي لبعض علامات الغيب. ٥٢

٢- ظهور بعض علامات الغيب نتيجة للأخذ بالأسباب. ٥٣

٣- ظهور بعض علامات الغيب بالعشوائية المحكومة. ٥٣

محاولات البشر كشف حجب الغيب. ٥٤

الفصل الثاني

الغيبيات الخمس وحكمة إخفائها ٥٧-١٣٤

علم الساعة ٥٩

مفهوم الغيب في علم الساعة. ٥٩

علامات الساعة: ٦٠
أ- علامات الساعة الصغرى. ٦١
ب- علامات الساعة الكبرى. ٦٥
أمثلة من القرآن الكريم توضح عدم معرفة البشر متى سيموتون: ٦٧
أ- مثال من قصة الذبيح إسماعيل عليه السلام. ٦٧
ب- مثال من قصة أصحاب الكهف. ٦٩
ج – مثال من قصة أرميا عليه السلام. ٧٠
د- مثال من قصة دانيال عليه السلام. ٧١
هـ- مثال من حياة المسيح عليه السلام. ٧١
حكمة إخفاء الله وقت قيام الساعة: ٧٢
أ- رحمة الله بعباده. ٧٢
ب- حث العباد على العمل على كسب الرزق باستمرار. ٧٢
ج- حث العباد على المسارعة إلى مغفرة من الله. ٧٣
توقعات فاشلة ونبوءات كاذبة عن موعد قيام الساعة ٧٣

إنزال الغيث ٧٩

مفهوم الغيب في إنزال الغيث. ٧٩
حكمة تفرد الله بإنزال الغيث: ٨٤
أ- حسن تدبير شئون الكون. ٨٤
ب- رحمة الله بجميع مخلوقاته. ٨٦
ج- تقوية الإيمان بالله والحث على طاعته. ٨٧
د- الخوف من عقاب الله في الدنيا. ٩٠

ما في الأرحام؟	٩٣
المفهوم الخاطئ لمعنى علم الله بما في الأرحام.	٩٥
المفهوم الحقيقي لمعنى علم الله بما في الأرحام:	٩٥
أ ـ الإنسان خلق منفصلاً ولم يتطور من مخلوق آخر.	٩٦
ب – أبعاد المفهوم الحقيقي لعلم الله بما في الأرحام.	٩٦
حكمة إخفاء الله علم ما في الأرحام:	٩٧
أ ـ ضمان استمرار حركة الحياة.	٩٧
بـ رحمة الله بعباده.	٩٨
ج – دعم مبدأ الأخذ بالأسباب.	٩٩
ما يعلمه الإنسان بالإرحام ليس كشفاً للغيب وإنما هو بعض من علاماته.	٩٩
أ ـ وهناً على وهن.	١٠٠
بـ طائره في عنقه.	١٠٢
جـ في رق منشور.	١٠٤
د ـ من حبل الوريد.	١٠٥
القرآن الكريم يحسم الجدل.	١٠٦
العلم بجنس الجنين .. ليس كشفاً للغيب إنما هو أحد علاماته.	١٠٨
الفروق الجوهرية بين الغيب وعلاماته في علم الله بما في الأرحام	١٠٨
محاولات التحكم في جنس الجنين	١١٢
محاولات التحكم في جنس الجنين والمشيئة الإلهية	١١٢
مردود محاولات التحكم في جنس الجنين على البشرية	١١٤
النتائج السلبية المحققة	١١٤

النتائج الإيجابية المحتملة ١١٥

ما تدري نفس ماذا تكسب غداً؟ **١١٧**

مفهوم الغيب في الكسب المستقبلي. ١١٧

حكمة إخفاء الله الكسب المستقبلي: ١١٨

أ ـ الحث على تقوى الله. ١١٩

بـ الحث على الأخذ بالأسباب. ١٢٠

أمثلة من القرآن الكريم توضح عدم معرفة البشر ماذا يكسبون غداً. ١٢٣

أـ مثال من قصة أصحاب الجنة. ١٢٣

بـ مثال من قصة رجلين لأحدهما جنتان. ١٢٣

السنة الشريفة تطبيق للقرآن الكريم في عدم معرفة الكسب المستقبلي. ١٢٥

ما تدري نفس بأي أرض تموت؟ **١٢٨**

مفهوم الغيب في مكان الموت. ١٢٨

حكمة إخفاء الله مكان الموت: ١٢٨

أ ـ حث العباد على كسب الرزق حيثما وجد. ١٢٨

بـ حث العباد على التنقل للتأمل. ١٢٨

جـ حث العباد على التنقل للتعاون. ١٢٩

د ـ حث العباد على التنقل للتعبد. ١٢٩

هـ حث العباد على التنقل بمختلف الوسائل المتاحة. ١٣٠

أمثلة من القرآن الكريم توضح عدم معرفة البشر بأي أرض يموتون. ١٣٠

أ ـ مثال من قصة أدريس عليه السلام. ١٣٠

ب- مثال من قصة موسى عليه السلام وفرعون.	١٣١
ج – مثال من أحوال المنافقين بالمدينة المنورة	١٣٣
مثال من سيرة خالد بن الوليد.	١٣٣
المراجع	١٣٥_١٣٧
فهرس الموضوعات	١٣٩_١٤٤

****

جمع إلكترونى

مكتب شمس العلمى

٨ ش ابن هانئ الأندلسى - متفرع من ش الطيران

ت : ٤٠٤٤٧٦٣

رقم الإيداع	٢٠٠٤ / ١٩٨٦٦
I. S. B. N الترقيم الدولى	977 - 298 -311 - 7